
إسمهان
ورحلة العمر
حكايات وشهادات
محمد عبد الفتاح صادق

# أسمهان .. ورحلة العمر

## حكايات وشهادات

إعداد

محمد عبد الفتاح صادق

الكتاب:أسمهان .. ورحلة العمر

الكاتب:مُحَمَّد عبد الفتاح صادق

الطبعة: ٢٠١٩

الناشر: وكالة الصحافة العربية ( ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

**E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com**



دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

صادق، مُحَمَّد عبد الفتاح
أسمهان .. ورحلة العمر/ مُحَمَّد عبد الفتاح صادق
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
٢٤٣ ص، ١٨ سم.
الترقيم الدولى:٧ – ٩٤١ – ٤٤٦– ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع :٥٥٨٦ / ٢٠١٩

# أسمهان .. ورحلة العمر

## حكيات وشهادات

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

## مقدمة ..

عاشت آمال الأطرش (الإسم الحقيقي للفنانة الراحلة أسمهان) حياة قصيرة مثيرة للجدل ، إذ رحلت قبل أن تتم عامها الثاني والثلاثين (ولدت في ٢٥ نوفمبر ١٩١٢ وتوفيت في ١٤ يوليو ١٩٤٤)، كانت أسمهان تكره الليل وتحب الشروق وكانت تحبس نفسها داخل حجرتها يوم ميلادها،فكان ينتابها هاجس قوي بأن نهايتها ستكون مأسوية، فتشابهت الظروف التي عاشتها "أسمهان" مع الظروف التي عاشتها "مارلين مونرو، حيث كانت حياتهما مليئة بالإثارة وكثرة الشائعات والقيل والقال.

لقد فتحت أبواب الشهرة الواسعة أمام أسمهان حيث كانت مطربة جميلة الصوت والصورة، مما جعلها تدخل بسهولة إلى عالم السينما، وعالم الغناء ودهاليز السياسة أيضا ، وعبر حياة قصيرة حققت نجومية لم تحققها أي مطربة عربية أو غربية رحلت في مثل عمرها .

تساؤلات كثيرة حول شخصيتها وحياتها وكواليس سيرتها ولغز مصرعها، حاولنا التفتيش عنها في الكتب والمذكرات والمجلات القديمة المواكبة لها ، ربما نصل إلى بعض الحقيقة .

**المؤلف**

# حياة قصيرة صاخبة

كانت حياة أسمهان عامرة بالأحداث الصاخبة والعلاقات الساخنة، فقد تفجرت موهبتها وهى في سن صغيرة، ساعدها على ذلك أن الأم حسنة الصوت كانت تجيد العزف على العود وكانت تغنى، ومارست أنشطة مرتبطة بالفن من أجل الإنفاق على الأسرة المغتربة، وتعرفت على الفنانين واستضافت بعضهم فى مغزلها الذى كانت تمارس فيه حرفة صنع البراقع ( البرقع هو غطاء لوجه المرأة كان منتشرا فى مصر والشام )، وفى سبيل تحسين دخل الأسرة قامت الأم بالتعامل مع شركة اسطوانات وقدمت لها أصواتا شابة من رواد المغزل، وبينهم كانت أول اسطوانة لابنتها الصبية.

وكانت أسمهان متقلبة المشاعر، يطاردها هاجس أنها ستموت صغيرة السن، وأن الوقت أمامها قليل فراحت تعب من متع الدنيا بشراهة ونهم لتحصل على ما تريد من سعادة ، لكن ذلك جلب عليها التعاسة، فقد دفعها للتقلب بين رجال كثيرين أزواجا وغير أزواج، أولهم الأمير حسن الأطرش الذى انتزعها من القاهرة ، حيث طموحها الفنى وعاد بها إلى جبل الدروز تاركة الفن والإسم الذى أحبته وعرفت به، ربما لذلك أفرطت فى التدلل عليه وأسرفت فى الإنفاق لدرجة أنها أقامت حفلا استضافت فيه بعض الأصدقاء والمعارف وبلغ بها البذخ مبلغا فأنفقت ألف جنيه تكلفة ذلك الحفل وهو مبلغ طائل فى حينها، وكانت تسرف فى الشراب وتميل

لنظرات الاعجاب وكلمات الاطراء حتى انتهى الأمر بالأمير لتطليقها، لتعود إلى القاهرة ..

وتزوجت من المخرج أحمد بدرخان زواجا عرفيا استمر لأربعين يوما وفى نوبة غضب مزقت ورقة الزواج معلنة طلاقها، وفى ليلة من الليالي تعرفت على المطرب فايد مُحَمَّد فايد وكان مزواجا قيل أنه تزوج أكثر من خمسين إمرأة قبل أن يتزوج بأسمهان ، تبادلا الإعجاب وفى الليلة التالية تزوجت منه ولم تكمل الزيجة شهرا ، فالمقربون منها قالوا أنها قبلت الزواج منه لمجرد أنه مصري والزواج منها يتيح لها فرصة الحصول على الجنسية المصرية، فلما تأكدت من أن الملكة نازلي تقف شخصيا وراء عدم حصولها على الجنسية أدركت أن لا فائدة من الارتباط بهذا المزواج فطلقت منه .

و بعد مدة تزوجت من الممثل والمخرج والطيار أحمد سالم الذى أطلق عليها الرصاص لكنه لم يصبها، بعده عادت لزوجها الأول ، وعادت لجبل الدروز كما قيل استجابة لطلب من المخابرات البريطانية، قيل أيضا أنها كانت على علاقة برئيس الديوان الملكى، وقيل أنها كانت من محظيات الملك فاروق، وعلاقتها بلكاتباالصحفى مُحَمَّد التابعى كانت معلومة للكافة، وهكذا توزعت حياتها بين الفن والرجال حتى لقت مصرعها فى حادث لم يكتشف أحد سره حتى اليوم، فانتهت حياة لم تطل كثيرا، لكنها لم تعرف الهدوء يوما بل كانت دائما عاصفة وصاخبة.

وقد كان الحادث الذي أدى إلى مصرعها حادثًا عاديًا كغيره من الحوادث التى تشهدها كل الشوارع بشكل شبه يومى، لكن أثيرت حوله

الأقاويل وكثر حوله الكلام ، وأثار الكثير من التخمينات والتحقيقات والاتهامات لأن ضحيته لم تكن شخصية عادية، لذا لم يتم التعامل مع الحادث باعتباره عاديا، الكل رأوا فيه جريمة محكمة التدبير، وإن إختلفوا حول هوية الفاعل؟ وما زال الحادث لغزا حتى اليوم ورغم مرور نحو ٧٥ عاما على وقوعه ( وقع الحادث ظهيرة يوم ١٣ يوليو ١٩٤٤ ).

وقد تأثر عشاق فنها بوفاتها الصادمة فرثاها شاعر الشباب أحمد رامي قائلا:

| | |
|---|---|
| يا ضياع المني على أسمهان | ذهبت في شبابها الريان |
| ولت ولم تزل في صباحها | تتمنى الحياة ملء الزمان |
| أنه في الفضاء ضاع صداها | كعبير يشيع في الأكوان |

وعلى الرغم من مرور كل هذه السنوات على رحيل أسمهان ، إلا أن روعة فنها ولغز مقتلها أبقياها في الذاكرة إلى اليوم ، فمازالت تكتب عنها المقالات وتصدر الكتب ومازال كنز سيرتها يحوى المطمور الذي لم يكشف عنه أحد ممن كتبوا عنها، والجديد الذي يقدمه كتابنا يتمثل في الجمع بين تفاصيل حياتها المعلنة والمعلومة فيما نشر عنها وبين جمع شهادات لمن عرفوها واقتربوا منها ومنهم من تزوجها ومنهم من أحبها دون إن تتاح بينهما علاقة زواج.

فشقيقها الأكبر فؤاد الأطرش أصدر مذكراته التي كتبها فوميل لبيب ونشرت في بيروت عام ١٩٦٢ بعنوان "فؤاد الأطرش يروي قصة أسمهان"،

والكتاب يعد وثيقة مهمة تضيء جوانب كثيرة من حياة أسمهان، فيكتب مثلا عن قصة محاولتها الانتحار ما لا يعرفه غيره ، يحكي لكاتب مذكراته : "ضاقت الدنيا في عينيها، وشربت ليلتها من الخمر ما يذهب صواب كتيبة رجال، وعجبت صديقاتها من بنات الأسر اللبنانية لمقدرتها على احتساء الخمر، وتركنها تصعد إلى غرفتها وهن يقلن إن ثمة شيئًا غير عادي يفرض وجوده عليها!

أما آمال فكانت قد اختمرت في رأسها فكرة .فكرة اختمرت من قبل مرتين، وفشلت في المرتين ربما لأن أسباب الاقتناع بها لم تكن متوافرة، أما هذه المرة فالأسباب أقوى من أن تدع للتردد أو الإبطاء سبيلًا إلى نفسها. فكرت في التخلص من الحياة بعد أن فقدت كل شيء. ونفذت ما اعتزمت ولكن الموت في هذه المرة كان عصيًا لأن الصدفة ساقت لها خادم حجرتها في فندق الملك داود.. تلك التي أهدت إليها ثوبها الأنيق. وصرخت الخادم صرخات ملتاعة، جمعت حول جسد آمال الساجي على الفراش كل من حولها في الفندق وبينهم طبيب" .

ويلمح شقيقها إلى دور محتمل للمخابرات البريطانية في اغتيالها حين يقول "ولكن المال الذي كانت تتقاضاه من الفرنسيين لم يكن يكفي لنفقاتها، وتنقلاتها بين دمشق وبيروت والقدس وتل أبيب والسويداء. وكان الأمير حسن يعرف أن آمال تتورط فيما لا تستطيع الوفاء به. وكان قد بدأ يشم في الأفق رائحة الغدر البريطاني بها، فخف إليها بالنصيحة، ولكنها ركلتها".

أما المخرج أحمد سالم وكان واحدا من أزواجها الخمسة فكتب في مذكراته عن قصة زواجهما والعقبات التي واجهته قبل أن يتم وبعدما تم أيضا، يقول "كان الخبر قد بدأ ينتشر ووصلت إلينا في القدس مجموعة من الصحف المصرية وإذا نحن نطالع فيها أنباء الهياج في مصر على أسمهان وعليّ، وكان خبر الزواج قد أحدث فيها ضجة كبرى، وأحسست بالمرارة وأنا أناول هذه الصحف لأسمهان ثم أحاول أن أهدئ من روعها وأنا نفسي نهب موزع بين مشاعر متباينة..وعرفت أن وزارة الداخلية أرسلت برقية مستعجلة تطلب تفصيلات ووثائق عن هذا الزواج وأكثر من هذا تستهجن في هذه البرقية تصرف قاضي قضاة القدس الذي أقدم على عقد الزواج!!".

نفس المشاكل واجهتهما حينما قررا الانفصال ، يحكي أحمد سالم "قال المأذون أنه لا يستطيع أن يجري الطلاق ما لم تكن تحت يده وثيقة زواج مصرية أو مصدق عليها من الجهات الرسمية المصرية. وعدت لغزالي بك أطلب منه التصديق على وثيقة الزواج ليستطيع المأذون إجراء الطلاق، فرفض غزالي بك وقال أنه سيجرب محاولة أخرى، وأمسك بتليفونه فاتصل بوزارة العدل... وأخيراً انتهى من محادثته فالتفت إلي وقال: إن قاضي محكمة السيدة زينب الشرعية سوف يحكم لك بالطلاق من الوثيقة الفلسطينية".

وعن أسرار زواجها من المخرج أحمد بدرخان ثم طلاقها منه في عام ١٩٤٠ ، كتب مُحَمَّد التابعي "كانت أسمهان مجموعة من المتناقضات أو

ترى السبب هو أنها أدركت أخيرًا أن وزارتي العدل والداخلية لن توافقا على زواجها من بدرخان، ومن ثم رأت هي أن تضع حدا لهذا الزواج العرفي الذي لا يتفق مع كرامتها؟ ربما كان للسببين نصيب في أمر انفصالها عن بدرخان، ولكني أعرف على كل حال أنها اقتنعت برأيي ورأي صديقاتها وقبلت أن تتصالح مع بدرخان وأن تستأنف حياتها معه لعل وعسى أن يفلح المسعى ويوافق ولاة الأمور على عقد الزواج". وعن شخصية أسمهان يذكر التاعي قصصا عن إسرافها في الإنفاق وفي الشراب وعن زهدها في المال، ويلخص ذلك بقوله"الحكم عندها للعاطفة.. أما المادة فلا شيء".

ويتوقف التابعي كثيرا عند يوم ٨ فبراير ١٩٤٠ قائلا " أعده نقطة التحول في حياة أسمهان، أو بداية الطريق الذي اختاره لها القدر والقضاء، ففي تلك الليلة كتب القدر في لوحه المحفوظ أنه بعد أربع سنوات أو نحو ذلك سوف يحاول الأستاذ أحمد سالم أن يطلق الرصاص على زوجته الكوكب السينمائى المطربة أسمهان أو آمال الأطرش بسبب شكوكه وغيرته من أحمد حسنين باشا. وأن هذا الحادث سوف يرهق أعصاب آمال فتركب سيارة إلى رأس البر لكي تستريح فيها وتسترخي، ولكنها تلقى منيتها المفجعة في الطريق! نعم كان مساء ٨ فبراير نقطة التحول أو بداية النهاية التي اختارها القدر لأسمهان. أستغفر الله، ولكن لولا هذه الصداقة التي قامت بينها وبين حسنين باشا يرحمه الله لما كان ما كان ولاتصلت الحياة في عام ١٩٤٤ هنية راضية بينها وبين زوجها أحمد سالم، ولا كان

حادث إطلاق الرصاص. ولما سافرت لرأس البر، ولما لقيت منيتها في الطريق، ولكنه القدر، ومرة أخرى أستغفر الله".

وبالرغم من أن هذه الشهادات منشورة في الصحف والمجلات ، التي مر عليه سنوات وسنوات وفي بطون الكتب ، إلا أن جمعها معا في كتاب واحد يسهم في تشكيل صورة حقيقية للمطربة التي وصفها من عرفوها بأنها لغز بشري دائم الحركة والغموض .

فكل شهادة منها تحكي واقعة ما، أو تعطي تفسيرات مختلفة لواقعة ما تسهم في فهمها فهما صحيحا ، و هكذا تتراص الوقائع والأحداث بتوالي الشهادات من الشقيق ومن الصديق ومن الزوج وكلهم يحكي حكاية عاينها وعرفها فتصبح الشهادات كقطع من لوحة بازل لا تكتمل الحكاية إلا برصها معا متجاورة ، وكل شهادة في موقعها الصحيح من الشهادات الأخرى، وبذلك التجاور وذلك التكامل يتميز الكتاب وتتميز روايته لقصة أسمهان عن غيره من عشرات الكتب التي روتها.

## الموهبة الفذة .. بين الغناء والسينما

ولدت أسمهان على متن باخرة كانت تقل العائلة من تركيا بعد خلاف وقع بين الوالد والسلطات التركية، وما إن رأتها أمها حتى أطلقت عليها أمها اسم "أمال" تيمنا بمعنى الإسم وأملا في تجاوز ظروفها الصعبة.

ولما كبرت والتحقت بالمدرسة كانت ناظرة مدرسة ألفريد الفرنسية تناديها "أملي" من باب المداعبة والتدليل.

أما اسمها الشهير الذي عرفت به "أسمهان" فقد أطلقه عليها الموسيقار اليهودي داود حسني مع الموسيقار المصري مدحت عاصم نسبة إلى أسمهان المطربة الشهيرة التي سبقتها في عالم الفن وسبقتها كذلك في اللرحيل عن الدنيا وهي في أوج شبابها.

أسمهان المولودة في ٢٥ نوفمبر من عام ١٩١٧ م هي مُغنية ومُمثلة سورية/ لبنانية. واسمها الحقيقي «آمال الأطرش» وهي شقيقة الموسيقار الكبير فريد الأطرش... وهي الابنة الوحيدة التي كُتب لها الحياة في أسرتها... فوالدها فهد الأطرش وهو درزي من جبل الدروز في سوريا وكان مُدير ناحية في قضاء ديمرجي في تركيا، ووالدتها علياء المُنذر وهي درزية لبنانية من بلدة شويت المتن، ولديها شقيقين هُما : فؤاد وفريد الأطرش المطرب والموسيقار المعروف والذي كانت على وفاق تام معه وهو الذي

أخذ بيدها إلى عالم الفن وجعلها نجمة غناء لامعة إلى جانب شهيرات ذلك الوقت أمثال أم كلثوم، نجاة علي، ليلى مراد وغيرهن. وقد كان لها شقيق ثالث يُدعى أنور وشقيقة تُدعى وداد الذين توفيا صغيرين قبل مجيء الأسرة إلى مصر... وعائلتها هي عائلة درزية كريمة يعود نسبها إلى آل الأطرش في سورية الذين كان فيهم رجال لعبوا دوراً بارزاً في الحياة السياسية في سوريا والمنطقة، أبرزهم سلطان الأطرش قائد الثورة السورية ضد الاحتلال الفرنسي.

ولدت أسمهان على متن باخرة كانت تقل العائلة من تركيا بعد خلاف وقع بين الوالد والسلطات التركية، وقد مرت العائلة في طريق عودتها من تركيا إلى بيروت حيث بعض الأقرباء في حي السراسقة، ثم انتقلت إلى سوريا وتحديداً إلى جبل الدروز بلد آل الاطرش، واستقرت الأسرة وعاشت حياة سعيدة إلى أن توفي الأمير فهد في عام ١٩٢٤ م، واضطرت والدتها الأميرة علياء على إثر نشوب الثورة الدرزية في جبل الدروز وانطلاق الثورة السورية الكبرى إلى مُغادرة عرينها في جبل الدروز في سوريا والتوجه بأولادها إلى مصر ... وفي القاهرة أقامت العائلة في حي الفجالة وهي تُعاني من البؤس والفاقة، الأمر الذي دفع بالأم إلى العمل في الأديرة والغناء في حفلات الأفراح الخاصة لإعالة وتعليم أولادها الثلاثة.

ظهرت مواهب آمال الغنائية والفنية باكراً، فقد كانت تُغني في البيت والمدرسة مُرددة أغاني أم كلثوم ومرددة أغاني مُحَمَّد عبد الوهاب وشقيقها فريد. وفي أحد الأيام استقبل فريد في المنزل (وكان وقتها في بداية حياته

الفنية) المُلحن داود حسني أحد كبار الموسيقيين في مصر، فسمع آمال تُغني في غرفتها فطلب إحضارها وسألها أن تغني من جديد، فغنت آمال فأعجب داود حسني بصوتها، ولما انتهت قال لها "كنت أتعهد تدريب فتاة تشبهك جمالاً وصوتاً توفيت قبل أن تشتهر لذلك أحب أن أدعوك باسمها أسمهان" وهكذا أصبح اسم آمال الفني أسمهان.

أخذت أسمهان منذ عام ١٩٣١ م تشارك أخاها فريد الأطرش في الغناء في صالة ماري منصور في شارع عماد الدين بعد تجربة كانت لها إلى جانب والدتها في حفلات الأفراح والإذاعة المحلية، وراح نجمها يسطع في سماء الأغنية العربية، وصوتها (السخي، الفياض بالشجو المرنان) على حد قول كرم ملحم كرم، يفتن الأسماع ويغزو القلوب. آثر عن مُحَمَّد عبد الوهاب قوله في أسمهان، وكانت في السادسة عشرة : . "إن أسمهان فتاة صغيرة لكن صوتها صوت امرأة ناضجة". واسم أسمهان هو مأخوذ من الكلمة التركية من مقطعي اسم وهان المحرفة من كلمة خان وتعني الحاكم أو السلطان والجاه ... وفي سنة ١٩٣٤ م تزوجت من الأمير حسن الأطرش وانتقلت معه إلى جبل الدروز في سوريا ليستقروا في قرية عرى مركز إمارة آل الأطرش لتمضي معه كأميرة للجبل مدة ست سنوات رزقت في خلالها ابنة وحيدة هي كاميليا، لكن حياتها في الجبل انتهت على خلاف مع زوجها، فعادت من سوريا إلى مصر، وقد عاد إليها الحنين إلى عالم الفن لتمارس الغناء ولتدخل ميدان التمثيل السينمائي.

فتحت الشهرة التي نالتها كمطربة جميلة الصوت والصورة أمامها باب الدخول إلى عالم السينما، فمثلت سنة ١٩٤١ م في أول أفلامها انتصار الشباب إلى جانب شقيقها فريد الأطرش، وشاركته أغاني الفيلم. وفي خلال التصوير تعرفت إلى المخرج أحمد بدرخان ثم تزوجته عُرفياً، ولكن زواجهما أنهار سريعاً وانتهى بالطلاق دون أن تتمكن من نيل الجنسية المصرية التي فقدتها حين تزوجت الأمير حسن الأطرش ... وفي سنة ١٩٤٤ م مثلت في فيلمها الثاني والأخير غرام وانتقام إلى جانب يوسف وهبي وأنور وجدي ومحمود المليجي وبشارة واكيم وسجلت فيه مجموعة من أحلى أغانيها، وشهدت نهاية هذا الفيلم نهاية حياتها.

وقد سبق لها أن شاركت بصوتها في بعض الأفلام كفيلم يوم سعيد، إذ شاركت مُحَمَّد عبد الوهاب الغناء في أوبريت مجنون ليلى، كما سجلت أغنية محلاها عيشة الفلاح في الفيلم نفسه، وهي من ألحان مُحَمَّد عبد الوهاب الذي سجلها بصوته فيما بعد، وكذلك سجلت أغنية ليت للبراق عيناً في فيلم ليلى بنت الصحراء.

عرف عن أسمهان أنها لم تحصر تعاملها مع ملحن واحد مهما كان شانه فتعددت أسماء الملحنين الذين غنّت لهم ألحاناً خالدة أمثال : مُحَمَّد عبد الوهاب، ورياض السنباطي، ومُحَمَّد القصبجي، وشقيقها فريد الأطرش، إضافة إلى مُكتشفها ومتعهدها داود حسني. إلا أنه بالإمكان الإشارة إلى أن فريد الأطرش ومُحَمَّد القصبجي كانت لهما حصة كبيرة في تلحين أغاني أسمهان الأكثر شُهرة. وكما تعددت أسماء الملحنين، تعددت كذلك أسماء

الشعراء، نذكر منهم : أحمد رامي، ويوسف بدروس، والأخطل الصغير، ومأمون الشناوي، وبديع خيري، وبيرم التونسي.

أثيرت الكثير من القصص والأقاويل حول تعاونها مع الاستخبارات البريطانية وتقول إحداها أنه في مايو من عام ١٩٤١ م تم أول لقاء بينها مع أحد السياسيين البريطانيين العاملين في منطقة الشرق الأوسط جرى خلاله الاتفاق على أن تساعد أسمهان بريطانيا والحلفاء في تحرير سوريا وفلسطين ولبنان من قوات فيشي الفرنسية وقوات ألمانيا النازية وذلك عن طريق إقناع زعماء جبل الدروز بعدم التعرض لزحف الجيوش البريطانية والفرنسية (الديغولية) ... وقد قامت بمهمتها خير قيام بعد أن أعادها البريطانيون إلى زوجها الأسبق الأمير حسن، فرجعت أميرة الجبل من جديد، وهي تتمتع بمال وفير أغدقه عليها الإنجليز، وبهذا المال استطاعت أن تحيا مرة أخرى حياة الترف والبذخ وتُثبت مكانتها كسيدة لها شأنها في المُجتمع ولم تُقصر في الوقت نفسه في مد يد المساعدة لطالبيها وحيث تدعو الحاجة.

وفي عددها الصادر صباح الاثنين ٢٩ سبتمبر ١٩٤١ م، كتبت جريدة الحديث البيروتية : ( الأميرة آمال الأطرش استعانت بالله وقررت تخصيص يوم الاثنين من كل أسبوع لتوزيع الطحين على الفقراء مجاناً وفي منزلها الكائن في عمارة مجدلاني في حارة سرسق ) ... إلا أن وضعها لم يستقر، فساءت الحال مع زوجها الأمير حسن في الجبل في سوريا من جديد، كما أن الإنجليز تخلوا عنها وقطعوا عنها المال لتأكدهم من إنها

بدأت تعمل لمصلحة فرنسا الديغولية، ويقال أنها بدأت ترفض طلباتهم حيث وجدت نفسها ستدخل سلسلة لا تنتهي من المهام، وارتأت هي أنها فنانة لا تُريد أن توقع نفسها في هذا الشرك.

وقد اعترف الجنرال إدوارد سبيرز ممثل بريطانيا في لبنان يومذاك بأنه يتعامل معها لقاء أموال وفيرة دفعت نظراً لخدماتها وقال عنها أنها كانت كثيرة الكلام ومدمنة على الشرب وأنه قطع كل علاقة معها، كما قال عنها صديقها الصحفي مُحَمَّد التابعي أنها كانت لا تترك الكأس من يدها وكانت تقول له أنها لا تحب أن ترى الكاس مليئاً أو فارغاً، كما كانت تُدخن بشراهة.

عادت أسمهان للعمل في الغناء والسينما في مصر رغم أن زواجها من أحمد سالم لم يكن سعيداً، وفي الوقت الذي كانت تعمل فيه بفيلم غرام وانتقام استأذنت من مُنتج الفيلم الممثل يوسف وهبي بالسفر إلى رأس البر لتمضية فترة من الراحة هناك فوافق. فذهبت إلى رأس البر صباح الجمعة ١٤ يوليو من عام ١٩٤٤ م ترافقها صديقتها ومديرة أعمالها ماري قلادة، وفي الطريق فقد السائق السيطرة على السيارة فانحرفت وسقطت في الترعة (ترعه الساحل الموجودة حاليا في مدينة طلخا)، حيث لقت مع صديقتها حتفهما أما السائق فلم يُصب بأذى وبعد الحادثة اختفى، وبعد اختفائه ظل السؤال عمن يقف وراء موتها دون جواب. ولكن ظلت أصابع الاتهام موجهة نحو كُلٍ من : المخابرات البريطانية وإلى زوجها الأول

حسن الأطرش وإلى زوجها الثالث أحمد سالم وإلى أم كلثوم وشقيقها فؤاد الأطرش

ومن غريب المصادفات أنها قبل أربع سنوات من وفاتها، أي في أوائل ١٩٤٠ م كانت تمر في المكان عينه فشعرت بالرعب لدى سماعها صوت آلة الضخ البخارية العاملة في الترعة، ورمت قصيدة أبي العلاء المعري (غير مجدٍ) التي لحنها لها الشيخ زكريا أحمد، وكانت تتمرن على أدائها حينذاك استعداداً لتسجيلها في اليوم التالي للإذاعة. وقالت للصحافي مُحَمَّد التابعي رئيس تحرير "مجلة آخر ساعة" والذي كان يُرافقها "كلما سمعت مثل هذه الدقات تخيلت أنها دفوف جنازة".

# أزواج وعشاق

من المعروف أن أسمهان تزوجت خمسة مرات أما الأزواج الخمس فهم: الأمير حسن الأطرش.. حيث تزوجا في مارس عام **١٩٣٣** وطلقت منه بعد ثلاث سنوات في **١٩٣٦** ثم عادت إليه مرة أخرى عان **١٩٣٩** ثم طلقت منه للمرة الثانية عام **١٩٤١**. ثم المخرج أحمد بدر خان الذي تزوجته ولم يستمر زواجهما سوى أربعون يوماً فقطط. ثمن تزوجت من المطرب فايد مُحَّد فايد ولم يستمر زواجهما سوى **٢٥** يوماً. أما الزوج الخامس فهو الطيار المخرج الممثل أحمد سالم. ولقد لقيت أسمهان حتفها وهي حامل من زوجها الأخير أحمد سالم في شهرها الخامس.

وإذا كانت أسمهان قد تزوجت خمس مرات.. غير أطرف هذه الزيجات كانت من المطرب فايد الذي تزوج في حياته أكثر من **٨٥** زوجة!

ولهذا الزواج قصة طريفة، فقد سافرت أسمهان إلى القدس وتصادف وقتها أن كان الفنان الكبير يوسف وهبي على رأس فرقة رمسيس المسرحية يزور القدس والتقت أسمهان بيوسف وهبي وشكت إليه محاولات منعها من العودة إلى لمصر. وكان من أعضاء فرقة رمسيس المسرحية المطرب فايد مُحَّد فايد الذي كان يغني في فترة الاستراحة بين الفصول المسرحية.. وقد أعجبت به أسمهان ونشأت بينهما علاقة حب قصيرة تزوجا بعدها زواجاً قصيراً لم يستمر أكثر من **٢٥** يوماً ، وحين أراد فايد أن يعود بزوجته إلى

القاهرة رفضت السلطات المصرية فطلبت أسمهان الطلاق من فايد الذي وافق على الفور.

كانت أسمهان تتمنى أن تحصل على الجنسية المصرية لكن السلطات المصرية رفضت كل طلباتها.. وكانت على استعداد للزواج من أي مصري في سبيل الحصول على الجنسية والإقامة الدائمة على أرض مصر.

ولقد مرت على أسمهان فترات بؤس وشقاء وفترات سعادة وثراء.. وتعرفت على المخرج أحمد بدرخان بعد عودته من باريس أثناء تصويرها فيلم "انتصار الشباب" مع شقيقها فريد الأطرش، حيث انتشلها بدرخان من معاناة الحزن والاكتئاب واليأس من الحياة لدرجة أنها كانت مقدمةً على الانتحار قبل تعرفها على بدرخان.

ونشأت قصة حب بين أسمها والمخرج أحمد بدرخان، واتفقا على الزواج ولكن وقفت أمامهما عقبة قانونية في بداية الأربعينات حيث كان هناك قانوناً يمنع المصريين من الزواج بأجنبيات قبل الحصول على موافقة من وزارة الداخلية.

فاتفقا على عقد زواج عرفي بينهما إلا أن تتم الموافقة من وزارة الداخلية. وكان زواجهما في مكتب المحامي الشرعي مُحَمَّد القاضي.

وهذا هو نص عقد الزواج العرفي الذي تم بينهما:

بسم الله الرحمن الرحيم

الزوج أحمد بدرخان– مواليد القاهرة ومقيم فيها

الزوجة: أمال فهد الأطرش مواليد ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٢ مقيمة بالقاهرة.

العنوان المميز للزوجين: القاهرة– عمارة الإيموبيليا.

بتاريخه تم الاتفاق والتراضي فيما بين الزوجين على ما يلي:

١– أقر الزوجان قبولهما الزواج على سنة الله ورسوله وعلى مهر معجله ألف جنيه مقبوض من قبل الزوجة أمال ومؤجله ألف جنيه باقية في ذمة الزوج.

٢– جلبت الزوجة معها الأشياء الجهازية وهي عبارة عن دولاب فورميكا لون بني "أربعة أبواب"، وطقم كنبات لويس سبعة قطع زاوية مع سرير خشب واحد، وفرشة صوف "عدد اثنتين" فأقر الزوج أحمد باستلامهم ووضعهم في المنزل الزوجي.

٣– تبادل الزوجان الألفاظ الشرعية لعقد الزواج بحضور الشاهدين الموقعين على العقد.

٤- تتعهد الزوجة أمال بمتابعة زوجها ومساكنته في أي منزل ومكان يقيم فيه.

وإثباتاً لهذا العقد وصلة الزواج شرعاً جرى تحرير هذه الوثيقة بحضور الشاهدين الموقعين أدناه.. والله خير الشاهدين.

القاهرة في ١٠ مارس سنة ١٩٤١.

| شاهد | شاهد | الزوجة | الزوج |
|---|---|---|---|
| حسنين عبدو | جمال الليثي | أمال الأطرش | أحمد بدرخان |
| توقيع | توقيع | توقيع | توقيع |

غير أن هذا الزواج لم يدم سوى أسابيع قليلة.

وكان رجال كثيرون يتنافسون على حب أسمهان من كبار رجال السياسة والاقتصاد في مصر ، أولهم كان الملك فاروق نفسه، الذي حاول أن يلقي بشباكه حولها ويرسل إليها من يقول لها من رجاله أنها سوف تصبح "أميرة" رسمياً.. لكن أسمهان كانت أذكى من أن تقع في شباك فاروق حتى لا تثير غير الملكة نازلي وحتى لا ترد لها الصاع صاعين.

وثانيهم أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي الذي اضطر أن ينكر علاقته بأسمهان أمام الملكة نازلي، التي دخلت عليه مكتبه صارخة فيه: "أنت تعرف الست اللي اسمها أسمهان دي من ورا ضهري"؟

فاضطر أحمد حسنين باشا أمام الحاح الملكة نازلي أن يتصل بأسمهان تليفونياً وينكر أية علاقة بينهما لكي يثبت للملكة نازلي أنها مجرد شائعات، وكم كانت سعادة الملكة يومها رغم شكوكها في أحمد حسنين.

أما التي كانت أسعد من الملكة فهي أسمهان.. التي أثبتت هذه المكالمة لها أن الملكة تغار منها.. وأن مكالمة حسنين باشا هي فقط مجرد انصياع لأوامر الملكة.

كما كانت لأسمهان صداقة بمراد محسن باشا مدير الخاصة الملكية.. وأيضاً بطلعت باشا حرب الذي كان يقيم لها حفلات خاصة في منزله يدعو إليها كبار رجال السياسة والاقتصاد والصحافة.

وقد كانت هناك صداقة وثيقة بين أسمهان والكاتب الصحفي مُحَمَّد التابعي الذي رآها لأول مرة في إحدى صالات عماد الدين وهي تغني.. ثم التقى بها لأول مرة في منزل الموسيقار عبد الوهاب ومن يومها نشأت صداقة بينهما استمرت حتى رحيلها.. وكانت كثيراً ما تردد للتابعي كلما نشب خلاف بينهما:

"يا أخي استحملني.. كلها سنة ولا إثنين وترتاح مني.. أنا عارفة إني سأموت قريباً".

وقد أنقذها التابعي ذات يوم من محاولة انتحار بعد أن ابتلعت شريطاً من الأسبرين وأبلغته خادمتها بذلك فحملها إلى المستشفى وتم إسعافها على الفور لتنجو من موت محقق.

وقد تدخل محمد التابعي من أجل تجديد مدة إقامة أسمهان في مصر بعد انتهاء الموعد المحدد لها.. لدى مصطفى ثابت مدير جوازات القاهرة ولم يستجب له نظراً لأن الأمر أصبح بيد حسين باشا رئيس الوزراء. وقد كتب التابعي مقالة طويلة في مجلة "آخر ساعة" إلى رئيس الوزراء كانت بعنوان "بقلم من لا يعرفه". فلما قرأ رئيس الوزراء المقالة استقبل التابعي واستجاب رئيس الوزراء للتابعي وألغي الأمر الذي سبق أن أصدره ووقعه بخروج أسمهان من مصر بناء على التقارير التي رفعها إليه موظف الأمن العام.. وأصدر قراره بالموافقة على تجديد إقامتها.

وترجع أسباب منح أسمهان الجنسية المصرية من قبل إدارة الجوازات والجنسية رغم أن هذه الإدارة نفسها قد منحت الجنسية المصرية لراقصات أجنبيات أنه قد نما إلى علم السلطات المصرية بأن أسمهان شخصية مريبة حيث أنها عميلة مزدوجة لعديد من أجهزة المخابرات في العالم.. ولهذا لم تمنح الجنسية المصرية حتى مصرعها.

وقد كان الكاتب الصحفي محمد التابعي بمثابة الناصح الأمين لأسمهان.. حيث كان دائماً يقول لها: لا تسرفي في الشراب، وحافظي على صحتك وصوتك وأنا على ثقة من أنك خلال خمس سنوات فقط ستكونين على قمة الغناء العربي.

وكانت إجابة اسمهان عليه:

وهل تضمن لي أن أعيش خمس سنوات.. إنني لن أعيس طويلاً.. بل عدة سنوات فقط فدعني أعيش اليوم كما يحلو لي.

وإذا كان الكاتب الصحفي مُحَّد التابعي قد أحب أسمهاذ فإن المفكر الكبير عباس محمود العقاد قد عشق صوتها. ولقد شوهد عباس العقاد في شارع القاهرة متجولاً على قدميه يبحث عن أسطوانة أسمهان "دخلت مرة في جنينة"، التي ألفها ولحنها الفنان مدحت عاصم، ولم يعثر يومها عليها لنفاذها من الأسواق. وقد وصف العقاد هذه الأغنية بأن السرد والقصص فيها كان جديداً في الأغنية العربية وأنها قمة التطور في الصوت والأداء والموسيقى.

كما وصف الموسيقار الكبير رياض السنباطي أسمهان بأنها المطربة العربية الوحيدة التي وصلت إلى مرتبة منافسة أم كلثوم سيدة الغناء العربي بلا منازع.

وتزوجت أسمهان من المخرج أحمد سالم.. ولكن سرعان ما دب الخلاف بينهما في بداية زواجهما.. حيث ضاقت أسمهان ذرعاً بمعاملة زوجها السيئة لها وبتحكمه في تصرفاتها الشخصية. وفي أحد الليالي قبيل مصرعها بأيام أرادت الخروج فمنعها وتطور النقاش بينهما وتصاعد فما كان من أحمد سالم إلا أن أخرج مسدسه وأطلق على أسمهان الرصاص.. إلا أنها لم تصب بسوء واستنجدت بالشرطة وتطور الأمر، وتبادلت الشرطة

مع أحمد سالم اطلاق الرصاص وأصيب لواء قوة الشرطة برصاصة من مسدس أحمد سالم بينما أصيب هو الآخر برصاصة أحد الضباط الذين داهموا المنزل لإنقاذ أسمهان.

ومن المفارقات الغريبة أن أحمد سالم نفسه قد انتهت حياته في احدى المستشفيات بعد إجراء عملية جراحية بسيطة.. وكأن رحيله أقرب إلى الاغتيال المتعمد.

ولقد اتصلت أسمهان بيوسف وهبي مخرج فيلمها الأخير تعتذر له عن تخلفها عن تصوير الفيلم لضرورة حصولها على أجازه لمدة يومين سوف تقضيها في مصيفها المفضل رأس البر لكي تريح أعصابها من عناء المأساة التي واجهتها مؤخراً على أثر محاولة زوجها أحمد سالم قتلها ومقاومته للسلطات التي استنجدت بها والتي نقل على أثرها إلى مستشفى القصر العيني مصاباً بطلق ناري بعد أن أصاب الضابط المسئول بطلق ناري أيضاً.

واعترفت أسمهان ليوسف وهبي بأنها تعيسة ولا تعرف طعم الاستقرار حيث إن إقامتها في مصر سوف تنتهي خلال الأسبوع نفسه وهي ممنوعة من دخول فلسطين وممنوعة من دخول وطنها وكل البلاد تلفظها.. والحل الوحيد هو موتها.

## لغز فكرة الموت

لقد تعرضت أسمهان للموت كثيراً.. منها الموت غرقاً قبل وفاتها بسنوات على شاطئ المنتزه ، ولكن أنقذها أحد أقاربها في اللحظة الأخيرة. وكانت من أكثر الفنانات تعرضاً للاغتيال: فقبل اغتيالها بأيام كانت تقف في شرفة منزلها وأطلق عليها مجهولون الرصاص لكنها أفلتت من الموت بأعجوبة بالغة، فقد مرت الرصاصات الخمس بجوار رأسها وأغمى عليها من هول المفاجأة وأسرع الذي أطلق عليها الرصاص بالفرار في لمح البصر.

كما أطلق عليها زوجها الخامس المخرج أحمد سالم الرصاص.. لكن الرصاصات التي أطلقها أخطأت جسد أسمهان ومرت واحدة منها بجوار رأسها.

وقد سبق وأن حاولت الانتحار من قبل بابتلاع أقراص الأسبرين وكانت في فندق مينا هاوس بالهرم ، ولكن أنقذتها صديقتها ماري قلادة بعد أن تأخرت عن ميعاد استيقاظها.. فقد كانت أسمهان تريد أن تتخلص من حياتها بأية طريقة خوفاً من الموت، وكان علاجها من وجهة نظرها هو مجابهة الموت بالموت نفسه.

وكانت أسمهان سوداوية النظر إلى الحياة.. بل كان عشقها الأول هو زيارة المقابر مع شقيقها الأكبر فؤاد الأطرش، وكانت تقف تتأمل سكون المقابر بالساعات قبل أن تعود دامعة العينين.

وكانت أسمهان تحترم فنها وتقدسه.. وقد حدث أثناء زيارتها لإحدى محافظات الصعيد وبالتحديد أسيوط أن أقامت حفلة هناك دعي إليه كبار القوم والمسئولين.. فلما فتح الستار وبدأت الفرقة الموسيقية في عزف المقدمة لم يكف الحاضرون عن الهمس والأحاديث الجانبية في موضوعات شتى، مما دفع أسمهان إلى الإشارة إلى فرقتها الموسيقية بإعادة المقدمة مرة ثانية حتى يكف الحاضرون عن الكلام، ولكن استمر الحال على ما هو عليه فما كان من أسمهان إلا أنها أمرت بإسدال الستار ثن غادرت المكان غاضبة إلى الفندق. فأسرع إليها الوسطاء من الأغنياء والكبراء يعتذرون إليها ويتعهدون بأن يسود الحفل النظام والصمت، وعادت أسمهان إلى الحفل ولم يستطع أحد من الحاضرين بعد عودتها أن ينبس بكلمة واحدة.

أسمهان واحدةٌ من النساء اللاتي قتلتهن السلطة، وهي أميرةٌ أخرى تموت ويُدفن سر الموت معها تحت كلمة "حادث" والتي لا يصدقها أحد لكنها كُتبت كذلك في نهاية صفحة أسمهان في التاريخ وستظل للأبد ... ولا يبدو أن السر الحقيقي سينكشف شأنها كشأن غيرها مات السر معهم ولم يبقَ لنا سوى التكهنات والاحتمالات والاستنتاجات الُممكنة بنسبةٍ ما حسب قائليها ورواتها.

آمال الأطرش أميرة الجبل وأخت المطرب والفنان الموسيقار فريد الأطرش حملت كلا الجنسيتين المصرية والسورية، وتنقلت خلال حياتها التي لم تزد عن الاثنتين والثلاثين عاماً بين كلا البلدين لتقضي سنوات هنا وسنواتٍ هناك وتترك أثرها هنا وهناك، ولدت في المياه وماتت فيها فيا

للعجب! ولدتها أمها الأميرة علياء على متن سفينةٍ مبحرةٍ بهم إلى سوريا حيث قضت آمال بداية سنين حياتها هناك، ثم انتقلت إلى مصر على أثر الثورة والصراعات السياسية للهرب بأولادها الثلاثة للاحتماء في مصر حيث كبرت آمال وترعرعت.

كانت آمال معروفةً بعذوبة الصوت وجماله وغنائها من صغرها في كل مكانٍ وُجدت فيه وبين صراعٍ من ناحيتين من أخويها فؤاد الذي كان ضد المشوار الغنائي ومتمسكاً بالعادات والتقاليد والذي رأى فساداً وفجوراً في ذلك الطريق وحاول منعها، وفريد الذي شجعها ووقف خلفها يدعمها ويدفعها للأنوار ويحيي موهبتها ويشجعها حتى النهاية ظهرت موهبة آمال جلية، ثم خرجت للنور يوم سمعها الملحن الكبير داوود حسني تغني في غرفتها في أحد زياراته لأخيها فريد في البيت عندها أراد أن يقابلها ويسمعها أكثر، وعندما أعجبه صوتها وغنائها أخبرها أنها تشبه إحدى تلميذاته صوتاً وجمالاً والتي لم تعِش ليسطع نجمها لذلك سيطلق عليها اسم أسمهان، ومن هنا بدأ نجم أسمهان الفني في السطوع، الغناء في الحفلات والصالات والإذاعة المحلية ولم يتوقف فنها عند الغناء فحسب بل طال السينما أيضاً لينتج لها فيلمان هما أول وآخر أعمالها السينمائية الفنية قبل موتها.

االرواية التي يتناقلها الجميع وعرفها التاريخ في موت أسمهان كان أنها في إثر فيلمها الثاني استأذنت مخرجه في أجازةٍ ذهبت فيها لرأس البر مع صديقتها ومديرة أعمالها لكنهما لم تصلا قط، حيث انقلبت بهما السيارة

في الترعة فماتتا غريقتين وعادت أسمهان للمياه كما خرجت يوم ولدت منها، ولم ينجُ سوى السائق الذي اختفى تماماً بعد الحادث ولم يجد له أثر، "قضاءٌ وقدر" هكذا عقب الكثيرون ومن ضمنهم عائلة أسمهان نفسها على موت ابنتهم الشابة رافضين كل ما يُشاع عن المؤامرات والحيل وفكرة كون الحادث مُدبر، ولم يكن كلهم كذلك وأيضاً لم يقتنع كل من عرفوا أسمهان وتاريخها بأنه مجرد حادث، ومن ثم بدأت أصابع الاتهام في الاتجاه نحو كل من سيكون موت أسمهان والتخلص منها انتقاماً في صالحه، طال الاتهام جهاتٍ كثيرة من بينها وعلى رأسها المخابرات البريطانية، ثم الملك فاروق وزوجها حسن الأطرش وحتى أم كلثوم وأخوها فؤاد الأطرش ونازلي هانم وحتى زوجها الآخر أحمد سالم، بدا أن لأسمهان الكثير من الأعداء الذين يحمل كل واحدٍ منهم سبباً قوياً ووجيهاً لقتلها انتقاماً منها أو غيرةً أو تخلصاً منها.

يُقال أنه بعد اعتناقها الفن والغناء وفشل محاولات أخيها فؤاد في تنحيتها عن ذلك الطريق بدأ بطلب المساعدة من أهله في الجبل في سوريا لإعانته على انتشال أخته من الوسط الفني الذي رآه طريق الضياع لها، ليجد الأمير حسن هو في ذلك الوقت أمير الجبل وعند تعرفه على أسمهان لإقناعها وإعادتها إلى صوابها وقع في حبها وتقدم لزواجها ليعودا معاً إلى الجبل في سوريا وتُصبح أسمهان هي أميرة الجبل وزوجة الأمير، وكان ذلك بداية دخولها للحياة السياسية وتعرفها عليها وعلى التخطيط وصدور القرارات السياسية والقيادية، ولكن هذا الزواج لم يكتمل وبعد ست

سنوات حدث الطلاق وعادت معه أسمهان إلى مصر لتعود لحياة الفن والغناء ثانيةً.

أكان لأسمهان بعد طلاقها وعودتها لمصر قصةٌ جديدةٌ حصلت فيها على العداوات بالقصر الملكي المصري ، حيث كانت نازلي أولى أعدائها وكارهيها عندما وقع في غرام أسمهان كلٌ من ابن نازلي وهو الملك فاروق وحبيب نازلي وهو أحمد حسنين ووصل الأمر بينهما للتنافس على قلب أسمهان وحبها، لكن نازلي كانت قد نسجت شباكها جيداً حول أحمد حسنين وأعادته لطوعها وقامت بطرد أسمهان من مصر للتخلص من حب الملك فاروق لها كذلك، عند ذلك راودها الملك فاروق عن نفسها وأرسل إليها يريدها أن تلجأ له ليُنعم عليها بلقب الأميرة ويحميها من طرد أمه لها، حينها رفضته بكبرياء وهي ترد إليه مبعوثه ليُخبره أنها كانت أميرة قبل أن يُصبح هو ملكاً وتخرج من مصر بعد ذلك، قلبان اشتعلا بالحقد والغضب عليها في القصر الملكي المصري ولم يخفَ ذلك على أحد، حتى أن قريبها ممدوح الأطرش بعد وفاتها كان يتوجه بكلامه واستنتاجاته واتهاماته للقصر الملكي في التسبب بمقتلها قائلاً أن لديه إحساساً بأن قتل أسمهان لم يخرج من حدود القصر الملكي بمصر. وقد تردد أن الملك فاروق له يد في عملية اغتيال أسمهان حتى تختفي إلى الأبد أسرار أمه الملكة نازلي وغرامياتها مع أحمد حسنين باشا.

كانت أسمهان تعرف ما لا يعرفه أحد عن تفاصيل غراميات الملكة نازلي من خلال صديقها أحمد حسنين واللقاءات المتكرررة معه في فندق

الملك داود في القدس حيث أقامت فترة طويلة أثناء رفض السلطات المصرية دخولها إلى مصر.. بل إن أسمهان وقفت ذات ليلة وقد فاض الكيل بها من الملكة نازلي التي وقفت حائلاً دون منحها الجنسية المصرية. والذي أثار الشكوك حول الملك فاروق أنه قد أمر بإرسال مندوب خاص للإشتراك في جنازتها وتقديم واجب العزاء إلى أسرتها.. وقبل ذلك إصراره على حضور افتتاح فيلمها الثاني "غرام وانتقام".. وكانت أول مرة في التاريخ بل وآخر مرة أيضاً يحضر فيها ملك مصري فيلماً في افتتاح العرض الأول، وكان ذلك في استوديو مصر. كذلك مساهمة الملك فاروق بمبلغ ٥٠٠ جنيه مصري كبداية للاكتتاب في مشروع صندوق أسمهان للخير ومنحه ألقاب البكوية للمشرفين على الفيلم ومنهم الفنان الكبير وهبي.. وكلها إشارات تبين مدى اهتمام الملك فاروق بأسمهان. ثم تلك النهاية المأسوية لعشيق نازلي أحمد حسنين باشا على كوبري قصر النيل في حادث سيارة غامض إثر اصطدامها بأوتوبيس تابع للجيش الإنجليزي.

التهمة الكبرى الموجهة لأسمهان والتي رجح الجميع مقتلها بسببها كانت تُهمة التخابر، بدايةً بالتخابر مع الإنجليز ثم بعد ذلك التخابر مع أعداء الإنجليز من ألمان مما جعل الإنجليز يتخلصون منها باعتبارها جاسوسة وعميلة مُزدوجة، لكن الحقيقة أن أسمهان نفسها وعائلتها رفضوا تهمة التخابر والجاسوسية الموجهة إليها وإنما عبروا عما فعلته بتعاونها الأول مع الإنجليز بأنها وطنية كانت تحب بلدها وتريد حريته وهاك القصة، كان كلٌ من سوريا ومصر ولبنان تحت الاستعمار الفرنسي والقوات الألمانية ولا يخفى على أحدٍ في التاريخ العداوة بين الإنجليز والفرنسيين، لذلك كانت

أسمهان أحد الأوراق الرابحة للإنجليز عندما اتفقوا وتعاقدوا معها على أن تكون رسولهم ووسيطتهم إلى حكم في الجبل بسوريا لما لها من مكانةٍ وحبٍ في قلب زوجها السابق حسن الأطرش، لتقنعه بالوقوف على الحياد مع قواته حتى يتمكن الإنجليز من تحرير مصر ولبنان وسوريا معاً من تحت القوة الفرنسية والألمانية الباطشة بهم، وكان لهم ما أرادوه فعلاً وظهرت الغلبة للإنجليز ومع غلبتهم ظهر خداعهم ونوايا الحلف الحقيقية عندها اتجهت أصابع الاتهام نحو أسمهان بالخيانة، وأثناء محاولتها استرداد سمعتها وشرفها والتخلص من عار الخيانة الذي التصق بها حاولت التواصل مع السفير الألماني في تركيا عبر أحد الصحفيين الأمريكيين لكن القوات الإنجليزية منعتها من تحقيق مرادها، وبالطبع فإن ضيق الإنجليز منها وكونها عبئاً عليهم وعدواً محتملاً لهم خاصةً كونها تعرف البعض من أسرارهم جعلهم في بداية قائمة الاتهام التي وُجهت الأصابع إليها فور حادث موتها، وجعلت القصة الأكبر والأكثر ترجيحاً لموتها هو تهمتها بالتخابر.

ما بين غيرة النساء من القصر الملكي المصري والغيرة الفنية التي جعلت أصابع الاتهام تطال أم كلثوم أيضاً للتخلص من منافسةٍ لها جعلتها تصاب بالغيرة، وما بين طليقٍ منبوذ أو الملك فاروق العاشق المجروح في كبريائه أو حتى أخوها فريد الذي لم يكن راضياً عن مشوار حياتها بأكمله بدايةً من تمردها عليه بالفن والغناء والسينما وانتهاءً بظهورها أمام العالم مُتهمةً بالخيانة والتحالف تارةً مع الإنجليز وتارةً مع الألمان يبقى القاتل الحقيقي مجهولاً، ويبقى سر وسبب الموت مدفوناً معها ومع قاتلها فقط ...

السنباطي أكد أنه لم تُنافس مطربة أم كلثوم إلا أسمهان ... وسحاب رأى أن صوت أسمهان أكثر أنوثة ودفئاً وصوت أم كلثوم أوسع مساحة وأكثر عظمة ... وكل منهما تخطت حدود «القومية» في شهرتها وذاع صيتها في كل مكان، فأسمهان وأم كلثوم في مرتبة كبيرات عالم الفن في العالم أمثال جريتا جاربووواديثبيافوايللافيتزجيرالد وغيرهن ممن حفرن أسماءهن في ذاكرة الشعوب ...

أظهر مسلسل "كوكب الشرق أم كلثوم" الذي قامت ببطولته الفنانة صابرين وكتبه محفوظ عبد الرحمن وأخرجته أنعام مُحَّد علي، منيرة المهدية على إنها كانت المنافسة الأقوى لأم كلثوم رغم أن ذلك يجافي الواقع ولا يتفق مع الحقيقة، لأنه بين العشرينيات والأربعينيات، حيث سجلت أم كلثوم بدايتها القوية، لم يكن من الممكن الحديث بواقعية عن مطربة قادرة على فرض نفسها كغريمة لأم كلثوم بالصوت والموهبة ونوعية الأعمال سوى أسمهان.

ما يجمع بين أم كلثوم المولودة في ١٩٠٤ وأسمهان المولودة في ١٩١٢ هو أن كُلاً منهما أظهرت براعتها منذ الصغر وأسرت كل من قابلها من شعراء وملحنين ... وحتى وفاة أسمهان عام ١٩٤٤ قدمت كل منهما بالتزامن مع الأخرى أغاني دخلت التاريخ نسمعها اليوم ولها نفس الأثر والشهرة اللذين كانا لها بالماضي ... ففي تلك الفترة أبدعت أم كلثوم في «رق الحبيب، على بلد المحبوب، ياللي رعيت العهود، اذكريني، أنا في انتظارك، الأولة في الغرام، حبيبي يسعد أوقاته ...» بينما شجت

أسمهان في أجمل أغانيها ومنها «اسقنيها، ليالي الأنس في ڤيينا، يا طيور، أمتى هتعرف، يا حبيبي تعالى، فرّق ما بينا الزمان، نويت أداري آلامي، وأهوى. ».

المقارنة بين نوعية هذه الأعمال التاريخية والتعامل مع ملحنين مشتركين دليل على التقارب الذي كان بين المطربتين اللتين كان يُفرقهما بالمقابل المستوى الاجتماعي لعائلتيهما، فأسمهان الملقبة بـ «أميرة الغناء» تنحدر من أسرة الأطرش المرموقة اجتماعياً والناشطة سياسياً، أما أم كلثوم فكانت تُردد بفخر أنها «فلاحة» من بيئة شعبية مُتدينة، وظلت متأثرة بعاداتها القروية ولهجتها حتى انتقلت إلى القاهرة، حيث اقتحمت المجتمع؛ وتأثرت بلباسه وثقافته متخطية الحواجز بينها وبينه، دون ان تتنكر لأصلها حتى آخر لحظة من حياتها. وعلى الصعيد الشخصي، كان الاختلاف كبيراً بين السيدتين، فأسمهان تزوجت ٣ مرات من الأمير حسن الأطرش (الذي انفصلت عنه وعادت إليه مرة أخرى)، والمخرج أحمد بدرخان (الذي تزوجته عند إخراجه فيلمها الأول لتتمكن من البقاء في مصر)، والممثل أحمد سالم الذي كان شديد الغيرة عليها وتسبب لها في الكثير من المشاكل في نهاية حياتها. والى جانب علاقاتها الزوجية، ارتبطت أسمهان بعدة علاقات غرامية أبرزها مع رئيس الديوان الملكي أحمد حسنين باشا المرتبط بعلاقة مع والدة الملك فاروق «ناظلي»، فرأت الأخيرة في أسمهان غريمة لدودة لها، ودار بينهما صراع تناقلته الألسن ووصل إلي فؤاد الأطرش شقيق أسمهان الذي كانت علاقته بأخته سيئة جداً، كما باقي أفراد العائلة،

باستثناء شقيقها الثاني الموسيقار فريد الأطرش الذي كان «أخوها بالجسد والروح» كما يُقال عنهما وأبدع معها في أجمل أعمالها.

هذه الصورة المضطربة كانت غائبة عن حياة أم كلثوم مُنذ أن تمكنت من الاكتفاء مادياً لإعالة أسرتها من عملها الفني، وحيدت المشاكل التي كان من الممكن أن تواجهها، حتى العاطفية منها، ولم تتزوج رغم كثرة طالبي يدها والمغرمين بها، إلى أن وجدت في الزواج حماية لها فقررت الارتباط بطبيبها د.حسن الحفناوي الذي كان متفهماً لمكانتها الاجتماعية وما تُقدمه من قيمة فنية لمصر والعالم العربي، ولكن لابد هنا من الإشارة إلى أن أم كلثوم كادت تتخذ قرار الزواج مرتين، الأولى مع الملحن محمود شريف وعطلها جمهورها باعتراض كبير، والثانية مع خال الملك فاروق شريف صبري باشا الذي رضخ لقرار القصر وتراجع فواجهت أم كلثوم التجربتين بقوة.

وعلى الصعيد السياسي، كانت كل من أم كلثوم وأسمهان ناشطتين سياسيتين مُقربتين من دوائر القرار، سواء بالقصر الملكي (بالنسبة للاثنتين) أو ما بعد الثورة، بالنسبة لأم كلثوم، ولكن الأخيرة حصرت نشاطها بالأغاني الوطنية والأنشطة الخيرية، إضافة لرئاستها لنقابة الموسيقيين وتبني قضاياهم، بينما احترفت أسمهان كما يُنقل العمل المخابراتي وتنقلت بالعمل لصالح كل من أجهزة استخبارات الحلفاء بالحرب العالمية الثانية (بريطانيا وفرنسا) وأحياناً لصالح استخبارات ألمانيا النازية أو المتعاونين معها ... وما هو مؤكد أن أسمهان سعت في عام ١٩٤١ م لمساعدة

الإنجليز على مواجهة نفوذ حكومة ڤيشي الفرنسية الموالية للنازيين في لبنان وسورية عبر إقناعها وجهاء الدروز بعدم التعاون مع حكومة ڤيشي الموالية للألمان وتسهيل مهمة الجيوش الموالية للجنرال ديجول الذي يقود حركة فرنسا الحرة ومعه الإنجليز لاستعادة النفوذ على سورية ولبنان وفلسطين ... وبعد نجاح الإنجليز وديجول في المهمة كرم الإنجليز أسمهان علناً وأغدقوا عليها الأموال وأعادوها لزوجها الأول الأمير حسن الأطرش، إلا أن إدمانها على الشراب وعدم اكتراثها بحياتها العائلية أديا لانفصالها مُجدداً وتوتير علاقتها مع مموليها الإنجليز لدرجة جعلت المفوض الإنجليزي في لبنان الجنرال سپيرز يقول إنها «كثيرة الكلام ومدمنة على الشراب وانه قطع كل علاقة معها» ... وبعدما فقدت ما جمعته من ثروة في لبنان والجزء الكبير منها ذهب كمساعدات للعائلات الفقيرة التي كانت تُقدمها بشكل أسبوعي قررت العودة إلى مصر، حيث مثلت فيلمين وتزوجت ببدرخان ثم بسالم قبل أن تموت في ظروف غامضة عام ١٩٤٤ م.

في يوم الجمعة ١٤ يوليو ١٩٤٤ م وبينما كانت في رحلة استجمام مع صديقتها ماري قلادة في «رأس البر» التي توجهت إليها بعد أزمة مع زوجها أحمد سالم، فقد سائق السيارة التي كانت تقلهما السيطرة عليها وسقطت في ترعة فماتت أسمهان وماري ونجا السائق الذي فر إلى جهة مجهولة! هروب السائق عزز الشكوك في أن الحادث عمل جرمي مُفتعل، وثار السؤال الذي مازالت الإجابة عنه مجهولة حتى اليوم: من قتل أسمهان ... ؟!

لائحة المتهمين طويلة جداً ولم تنج حتى أم كلثوم منها، وهي تضم الملكة نازلي، وشقيق أسمهان فؤاد الذي كان يضيق ذرعا بتصرفات أخته وعلاقاتها، وزوجها أحمد سالم الذي أحرقته نار الغيرة، والمخابرات البريطانية التي كانت أسمهان تختزن في ذاكرتها الكثير من المعلومات عنها أو حتى عملاء الاستخبارات الألمانية ... وما زاد من الغموض هو صمت فريد الأطرش الشقيق المقرب لأسمهان عن الكلام وموافقته على إغلاق الملف في المحكمة التي ردت موت «أميرة الغناء» لإهمال السائق ... والغريب أن شائعة تورط أم كلثوم لم تتم إثارتها إثر الحادث وإنما بعد سنوات طويلة، حيث ظهرت في مجلة مصرية ولاقت رواجاً يُقال أنه آلم أم كلثوم كثيراً، وبخاصة أنها كانت تكن لأسمهان محبة وانهنا التقتا في أكثر من مناسبة وكانت أسمهان تقول لها «غنيلي يا أم كلثوم» فلا تتردد أم كلثوم في ذلك، كما ينقل الإعلامي عبد الله أحمد، كما إن أياً منهما لم تقم بأي إساءة للأخرى رغم إن آراء عديدة كانت تُؤكد أنهما تتنافسان على زعامة الغناء، ومن بين هذه الآراء ما قاله الملحن الكبير رياض السنباطي عندما أشار إلى أن أسمهان هي المطربة الوحيدة التي استطاعت منافسة أم كلثوم، أما الصحافي إلياس سحاب فكان يقول إن صوت أسمهان أكثر أنوثة ودفئا إنسانياً، ولكن مساحات أم كلثوم الصوتية أوسع، ما يمنحها تملكاً أكبر من الصوت وعظمة أكبر.

وغياب الدلائل الملموسة عن دور ما لأم كلثوم في مصرع أسمهان وعدم إثارتها إلا في مرحلة لاحقة من قبل أعداء لأم كلثوم على الأرجح،

يجعلنا نصنف الاتهام بإطار «نظرية المؤامرة» المعروفة على كل الصعد في العالم العربي.

ماتت أسمهان في ريعان شبابها واستمرت أم كلثوم وقدمت بين ١٩٤٤ و١٩٧٥ أجمل وأروع الأعمال وتنافس كبار الملحنين والشعراء على تقديم أجمل ما أبدعته قرائحهم لها، وكرست نفسها في مكانة لا يبلغها إلا العظماء في عالم الفن، لكن السؤال الذي يطرح نفسه ماذا لو واصلت أسمهان مسيرتها ولم تمت أو تُقتل ؟ هل كانت ستبلغ المرتبة نفسها ؟

## نجمة سينمائية ومطربة فذة

فتحت الشهرة بابها أمام اسمهان حيث كانت مطربة جميلة الصوت والصورة ، مما جعلها تدخل بسهولة إلى عالم السينما، فمثلت سنة **١٩٤١** في أول أفلامها "انتصار الشباب" إلى جانب شقيقها الموسيقار فريد الأطرش، وشاركته أغاني الفيلم. وأثناء تصوير الفيلم تعرفت إلى المخرج أحمد بدرخان ثم تزوجته عرفيا، ولكن زواجهما إنهار سريعًا وانتهى بالطلاق دون أن تتمكن من الحصول الجنسية المصرية ، ثم تزوجت الأمير حسن الأطرش.

ومثلت فيلمها الثاني والأخير " غرام وانتقام " سنة **١٩٤٤** إلى جانب يوسف وهبي وأنور وجدي ومحمود المليجي وبشارة واكيم ، وغنت فيه مجموعة من أحلى أغانيها، وشهدت نهاية هذا الفيلم نهاية حياتها.

وقد سبق لها أن شاركت بصوتها في بعض الأفلام كفيلم "يوم سعيد"، إذ شاركت مُحَمَّد عبد الوهاب الغناء في "أوبريت مجنون ليلى" كما سجلت أغنية "محلاها عيشة الفلاح" في الفيلم نفسه، وهي من ألحان مُحَمَّد عبد الوهاب الذي سجلها بصوته في ما بعد، كذلك سجلت أغنية " ليت للبراق عينًا" في فيلم "ليلى بنت الصحراء" .

عرف عن أسمهان أنها لم تحصر تعاملها مع ملحن واحد ، فتعددت أسماء الملحنين الذين غنّت لهم أعذب الألحان أمثال: مُحَمَّد عبد الوهاب، ورياض السنباطي، ومُحَمَّد القصبجي، وشقيقها فريد الأطرش، إضافة إلى مكتشفها ومتعهدها داود حسني. إلا أن فريد الأطرش ومُحَمَّد القصبجي كانت لهما حصة كبيرة في تلحين أغانيها الأكثر شهرة. وكما تعددت أسماء الملحنين، تعددت كذلك أسماء الشعراء، نذكر منهم: أحمد رامي، ويوسف بدروس، والأخطل الصغير، ومأمون الشناوي، وبديع خيري، وبيرم التونسي. وقد حاولنا قدر المستطاع نشر قائمة بأسماء معظم أغانيها :

| اسم الأغنية | الملحن | المؤلف | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| عاهدني يا قلبي | زكريا أحمد | محمود إسماعيل | |
| عذابي في هواك | زكريا أحمد | أحمد المرشدي | |
| هديتك قلبي | زكريا أحمد | | |
| غير مجدٍ في ملتي واعتقادي | زكريا أحمد | أبو العلاء المعري | |
| نار فؤادي | فريد غصن | | |
| دخلت مرة في جنينة | مدحت عاصم | مدحت عاصم | |
| يا حبيبي تعالى الحقني | فريد الأطرش | | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| محلاها عيشة الفلاح | مُحَّد عبد الوهاب | بيرم التونسي | غنتها بصوتها في فيلم يوم سعيد |
| مجنون ليلى | مُحَّد عبد الوهاب | أحمد شوقي | غنتها بصوتها في فيلم يوم سعيد |
| يا لعينيك | رياض السنباطي | أحمد فتحي | |
| أقرطبة الغراء | رياض السنباطي | ابن زيدون | |
| الدنيا | رياض السنباطي | | |
| يا طيور | مُحَّد القصبجي | يوسف بدروس | |
| اسقنيها | مُحَّد القصبجي | بشارة الخوري | |
| ليت للبراق | مُحَّد القصبجي | | |
| كلمة يا نور العين | مُحَّد القصبجي | | |
| فرق ما بينا الزمان | مُحَّد القصبجي | علي شكري | |
| كنت الأماني | مُحَّد القصبجي | يوسف بدروس | |
| هل تيم البان | مُحَّد القصبجي | أحمد شوقي | |
| أين الليالي | مُحَّد القصبجي | | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| نويت إداري ألآمي | فريد الأطرش | | |
| عليك صلاة الله وسلامه | فريد الأطرش | | |
| ياللي هواك | فريد الأطرش | أحمد رامي | فيلم انتصار الشباب |
| كان لي أمل | فريد الأطرش | أحمد رامي | فيلم انتصار الشباب |
| إيدي ف إيدك | فريد الأطرش | أحمد رامي | فيلم انتصار الشباب |
| الشمس غابت أنوارها | فريد الأطرش | أحمد رامي | فيلم انتصار الشباب |
| انتصار الشباب | فريد الأطرش | أحمد رامي | فيلم انتصار الشباب |
| ليالي البشر | فريد الأطرش | يوسف بدروس | فيلم انتصار الشباب |
| بدع الورد | فريد الأطرش | حلمي الحكيم | فيلم انتصار الشباب |
| أوبريت الختام (انتصارالشباب) | فريد الأطرش | | فيلم انتصار الشباب |
| ليالي الأنس في فيينا | فريد الأطرش | أحمد رامي | فيلم غرام وانتقام |
| أنا أهوى | فريد الأطرش | مأمون | فيلم غرام وانتقام |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | الشناوي | |
| يا ديرتي | فريد الأطرش | بيرم التونسي | فيلم غرام وانتقام |
| أيها النائم | رياض السنباطي | أحمد رامي | فيلم غرام وانتقام |
| نشيد الأسرة العلوية | رياض السنباطي | أحمد رامي | فيلم غرام وانتقام |
| امتى حتعرف | مُحَمَّد القصبجي | مأمون الشناوي | فيلم غرام وانتقام |
| أنا اللي استاهل | مُحَمَّد القصبجي | بيرم التونسي | فيلم غرام وانتقام |
| رجعت لك يا حبيبي | فريد الأطرش | | |
| الشروق والغروب | فريد الأطرش | | |
| الليل | | | |
| الدنيا ف إيدي | | | |
| أعمل إيه علشان أنساك | | | |
| أن بنت الليل | | | |
| حديث عينين | | | |
| في يوم ما اشوفك | | | |
| الورد | | | |
| يا حبيبي الله | | | |

# شهادات ومذكرات

## صفحة من مذكرات أحمد سالم

### الزوج السابق للفنانة الراحلة أسمهان

وغادرت الحفلة وأنا أحس أني غريب وحيد في كل فلسطين واستولى على هذا الشعور، وامتلأ قلبي فجأة بالحنين إلى الوطن وقلت لنفسي: "لتكن هذه آخر ليلة لي في فلسطين". وسرت أستعرض حوادث الليلة، بدايتها الصاخبة، وأحداثها العنيفة، وأخيراً أختامها السيئة، وارتميت في فراشي وأنا أقول: "ليلة غير موفقة"..

وأغمضت عيني وأنا أكمل الهمس لنفسي: "يا له من ختام طبيعي لزيارة غير موفقة لفلسطين"، واستيقظت في الصباح على صوت التليفون يدق في غرفتي دقاً عنيفاً متواصلاً ونظرت في ساعتي وأنا أمد يدي لتناول سماعة التليفون وكانت الساعة الثامنة صباحاً، وانساب إلى صوت أسمهان. وقلت لها وأنا أطرد النوم من عيني:

– هكذا في الصباح الباكر.. متى انتهت الحفلة؟

– منذ عدة دقائق!

واستطردت أسمهان:

– لعلك لم تتضايق من لهجتي أمس؟

– لقد كان علي أنا أن أعتذر لك فلا أظن أني ظهرت بالمظهر اللائق في حفلة كلها أمراء!.. وعلى أي حال فقد حسمت موقفي وقررت أن انسحب من الميدان..

– لقد كنت واثقة انك ستخطئ في فهم الموقف.

ثم بدأت تشرح لي وجهة نظرها، قالت أن تصرفها السريع كان درءًا لخطر شديد يهدد حياتي وقالت وهي تضحك:

– لقد أهنت أميراً تعود أن يهين ولا يهان.. وكان الطبيعي أن يقتلك ولم يكن هناك مفر من أن أشغله، وكان هذا أيضاً هو ما دفعني إلى عدم التشبث ببقائك لما طلبت الانصراف..

وسكتت أسمهان، ثم انساب إلى صوتها رقيقا فيه رنة عتاب:

– هل اقتنعت الآن؟...

وأحسست أن شيئاً ما في أعماقي قد اقتنع، وكان هذا الشيء الغامض المجهول في أعماقي يلح علي –أنا أيضاً– أن اقتنع واقتنعت.. وأحست أسمهان بغريزتها المرهفة أنها كسبت المعركة.. وانتهى الحديث وهي تذكرني بموعدنا الليلة على العشاء في كباريه "الريجانس" في فندق الملك داوود ضيفين على شوقي بك السعد وحرمه..

### ويا لها من أحداث

وفي الساعة السابعة مساء كنت أخترق بهو الفندق في طريقي إلى الكباريه حين لمحت أسمهان جالسة مع عدد من أصدقائها اللبنانيين، وكان عددهم – رجالاً وسيدات– يقرب من عشرة، واتجهت ناحية أسمهان، وهمت لملاقاتي وسألتها عن السهرة فقالت:

– اسبقني إلى هناك وانتظرني وسألحق بك..

ثم أردفت:

– إنهم أيضاً ينتظرونك هناك

ورددت عليها بطرية شبه آلية: "طيب يا روحي" قلتها وأنا لا أعني من ورائها شيئاً، ولكنها كلمة دارجة على لساني، وما خطر ببالي لحظة أن هذه الكلمة الصغيرة ستكون مفتاحاً لما تلاها من أحداث.. ويا لها من أحداث!

### تسلية لذيذة

ولم تلبث أسمهان أن لحقت بنا في "الريجانس" وقالت للحاضرين – قبل أن تجلس – أنها تريد أن تستشهد بهم في مشكلة خطيرة سببها لها "الأستاذ" وأشارت إليّ.. ودهشت ونظرت إليها مستطلعاً، وجلست أسمهان وهي تكمل باقي القصة

قالت أنني وجهت إليها الخطاب أمام عشرة من مواطنيها بكلمة "يا روحي" وقالت أنني سببت لها بهذه الكلمة إحراجاً أمامهم ولم تجد ما ترد به على نظراتهم المتسائلة إلا أن تقول أنني خطيبها! وضحكت أسمهان وقالت:

– الآن إما أن تصحح مركزي على هذا الوضع، وإما أن ترسل لي شهودك للمبارزة صباح الغد!

وقلت لها وأنا أسايرها في لهجتها المرحة:

– لو كنت أتقن المبارزة لاخترتها ولكني مضطر إلى قبول الحل الأول!

ورفع أصدقاؤنا كؤوسهم يشربون نخب "خطبتنا"!! ولم يخطر في بال أحد منا –أنا أو هي أو أصدقائنا– أن الأمر جد وحقيقي وإنما نظرنا إليه جميعاً على أنه تسلية لتمضية السهرة.. تسلية لذيذة.

واستمرت "التسلية" طول السهرة، وكانت تجلس معنا ملكة جمال الإسكندرية في ذلك الوقت وقمت لأرقص معها ولم تنس قبل أن تنهض معي أن تستأذن من "خطيبتي" لتسمح لها بذلك!

### أضواء الفجر

وانتهت السهرة في هذا الجو المرح، ولكن أسمهان اقترحت أن نركب السيارات إلى "البحر الميت" وقالت وهي تضحك في جذل: أن الناس لا يتركون ضوء القمر وينامون..

وعدنا من رحلة "البحر الميت" قرب الصباح، وأوصلتها إلى جناحها الملكي في الفندق..

ووجدتني أدخل وراءها الصالون بحركة آلية واتجهنا ناحية "النافذة" التي كنا نقف إلى جوارها دائماً في الليالي السابقة، وسرحت أبصارنا على القدس الجميلة وقد لفتها غلالة فاتنة من أضواء الفجر..

وساد بيننا الصمت، ولكنني أحسست أننا نتخاطب بلغة مجهولة، لغة ليس فيها كلمات ولا حروف ولا أصوات وإنما فيها مشاعر وأحاسيس وعواطف مبهمة غامضة.

وقطعت أسمهان الصمت.. تنهدت من أعماقها وقالت وفي صوتها أسى حالم:

– لماذا يطلع الصبح.. إن ضوء النهار دائماً بدد أحلام الليل ويطاردها.

وسكتت لحظة ثم استطردت تقول في حماسة:

– لماذا لا تكون الحياة كلها حلماً، ولماذا يصدمنا الواقع بمرارته.. لقد كانت ليلتنا حلماً.. فلماذا لم تكن حقيقة...

وسكتت مرة ثانية وعادت – وكان صوتها جميلاً كندى الصباح – تقول:

– لو كان هذا هو الواقع، وكنا نعيش فيه؟

وتشابكت أيدينا في حركة لا إرادية، وتابعت كلامها:

– ولم لا... ويطلع علينا الصباح ونحن متزوجان ونهاجر إلى بلد حر كأمريكا ونشارك أهلها في سعادتهم.. إننا –كلينا– شركاء في التعاسة.. فلماذا لا نبدأ معاً عهداً جديداً...

ولست أذكر ماذا قلت لها، ولا أظنني رددت عليها بالألفاظ، ولكن حالة تشبه "التنويم المغناطيسي" سيطرت علينا ودفعت كلينا إلى صاحبه واشتركنا في قبلة أذكر أننا تعاهدنا بعدها على الزواج.. وعدت إلى غرفتي..

### لم يكن حلماً!

واستيقظت قرب الظهر وكنت أفكر وأنا أرتدي ملابسي في الليلة الماضية وقابلتها وأنا أظن أن ضوء الشمس – والفرق بينه وبين أضواء الفجر كبير – ربما غير من أحلام الصبح! ولكني وجدت "أسمهان" ما زالت على عزمها فقد سألتني – وكانت هذه من عاداتها المعروفة – قائلة:

– رد بسرعة من غير ما تفكر

وضحكت وقلت:

– من غير ما أفكر

واستأنفت سؤالها :

– كان حلم ... والا ماكانش!

وقلت لها وأنا لا أزال أضحك

– ماكانش !

ثم قلت لها:

– إذا كنت ما زلت عند رأيك فأنا لم أتغير.

وقالت أسمهان:

– ولا أنا تغيرت.

ثم روت لى أنها سألت خمسة من أصدقائنا بينهم "شوقي بك السعد" والسيدة "شفيقة النشاشيبي" – سألتهم بنفس الطريقة: "رد بسرعة من غير ما تفكر". وكان السؤال : "ما رأيهم لو تزوجتني؟" وقالت أسمهان: "ووافقوا جميعاً".

ووجدنا نفسينا منهمكين في إجراءات الزواج، وقصدنا إلى منزل السيدة شفيقة النشاشيبي – وكنا قررنا أن نعقد فيه الزواج.. وبدأنا نواجه سلسلة من العراقيل!

## بداية العراقيل

طلب المأذون أولاً وثيقة طلاق أسمهان من زوجها الأمير حسن الأطرش، ولكن مثل هذه الوثائق لا وجود لها في شرع جبل الدروز. وقالت أسمهان أن هناك خطاباً بخط الأمير فيه اعتراف وإقرار بالطلاق ولكن هذا الخطاب مع شقيقها فؤاد الأطرش في القاهرة!

وأخيراً قدمنا طلباً لقاضي قضاة القدس معززاً بعدة نسخ من مجلات سورية ولبنانية نشرت خبر الطلاق، وأتينا مع هذا باثنين من الشهود قررا أنهما تأكدا من الطلاق.. وتم الزواج

## شهر العسل ينتهي

وفي اليوم التالي سافرنا إلى "طبريا" لنقضي شهر العسل على شواطئ البحيرة الجميلة، ومضت عدة أيام كأنها ليست من حياتنا التي ما عرفت إلا الشقاء والقلق والضنى. كانت أيامنا هانئة كالأحلام وليالينا سعيدة كالنجوى وأحس كل منا أنه يستطيع أن يستند برأسه المتعب إلى صدر زميله نشد العزاء والسلوى ويتطلع إلى الغد بأمل وثقة..

وفجأة.. ذات صباح دق التليفون في غرفتنا وكان المتكلم صديقنا شوقي بك السعد، وقال لي شوقي بك: أن الحوادث في القدس تتطور بشكل يستدعي عودتنا إليها..

وسألت شوقي بك مزيداً من التفاصيل فروى لي أنه قابل –أمس– الأستاذ محمود فوزي بك –قنصل مصر العام في القدس وقتها ومندوب مصر في مجلس الأمن الآن– فسأله عن صحة خبر زواجنا فأكده له.

وقال له فوزي بك أن له على ما حدث اعتراضين أولهما اعتراض أدبي فقد كان يجب أن يبلغ بهذا الزواج، والثاني اعتراض رسمي وهو أن هذا الزواج كان يجب أن يعقد عن طريق القنصلية وإلا فإنه يكون غير قانوني من وجهة النظر الرسمية المصرية، وأذكر أنني قلت لشوقي بك في التليفون: "بسيطة"، وقررنا أن نعود غداً إلى القدس وقابلت فوزي بك في القنصلية المصرية بحي القطامون في القدس.. واعتذرت له عن تقصيري، وقلت له أن سببه واحد: هو جهلي بالرسميات

وسألته عما ينبغي أن أفعله الآن، وقال أنه يتعين علي أن أكتب طلباً للقنصلية لتوافق على هذا الزواج وأن القنصلية سترسل الطلب إلى وزارة الداخلية في القاهرة لتصدق عليه، ونفذت تعليمات فوزي بك وكتبت الطلب وقته له ولم يبق إلا أن أنتظر.

وكان الخبر قد بدأ ينتشر ووصلت إلينا في القدس مجموعة من الصحف المصرية وإذا نحن نطالع فيها أنباء الهياج في مصر على أسمهان وعليّ، وكان خبر الزواج قد أحدث فيها ضجة كبرى، وأحسست بالمرارة وأنا أناول هذه الصحف لأسمهان ثم أحاول أن أهدئ من روعها وأنا نفسي نهب موزع بين مشاعر متباينة.

وبدأ القدر يدفع الأحداث بسرعة مخيفة.. ظهرت في القدس فجأة وجوه تعرفها أسمهان.. تعرفها من الجبل، وكانت أسمهان تمسك بيدي في خوف وتهمس في أذني بصوت مرتعش: "هذا فلان!" وتسكت ثم تقول: "لقد قتل عشرة!"

وكان هناك كثيرون من هذا النوع تتراوح مؤهلاتهم بين قتل عشرة وعشرين؟

وبدأ ضغط سوريا يزداد بصورة جلية واضحة لما تسلمت أسمهان ذات صباح إخطاراً من إدارة الأمن العام في القدس تنذرها بأن إقامتها في فلسطين قد انتهت وتطلب إليها مغادرة البلاد في ظرف أسبوع واحد، وأحسست أننا فأران حاصرهما قطيع من القطط! نغادر فلسطين في ظرف أسبوع وإلى أين؟ مصر؟.. إن الموافقة على الزواج لم تأت بعد ومعنى هذا أن أسمهان لا تستطيع الدخول.. وسوريا..؟ كانت سوريا الخطر الأكبر ما أن نجتاز حدودها حتى تختفي أسمهان فقد كان هناك مبلغ كبير موضوع

على رأسها! وشرق الأردن؟.. وأبعدت هذا الخاطر من ذهني وأنا أستعرض الود المشهور بين الملك عبد الله وبين جبل الدروز!.. حصار كامل مخيف

### السفر إلى مصر

واستعرضنا الموقف في الليل.. وقلنا لا أمل إلا في مصر، وعدت إلى القنصلية المصرية في الصباح أسأل: أما من خبر من القاهرة؟، وعرفت أن وزارة الداخلية أرسلت برقية مستعجلة تطلب تفصيلات ووثائق عن هذا الزواج وأكثر من هذا تستهجن في هذه البرقية تصرف قاضي قضاة القدس الذي أقدم على عقد الزواج!!

وأحسست أن الأمور في مصر تسير على غير ما نشتهي، وأن الرياح تهب من الناحية الأخرى وقررت أن أطير بنفسي إلى القاهرة أتعجل الموافقة وأسعى بمعونة "أستوديو مصر" الذي كان مهتما بإدخال أسمهان إلى مصر لكي تنفذ عقداً على فيلم اتفقت على الظهور فيه لحسابه، وكان "الأستوديو" قد دفع ألفي جنيها مقدماً لأسمهان وكان يهمه بالطبع أن لا يضيع عليه المبلغ. ووافقت أسمهان على خطتي وتركتها في حماية كلبها "بنجي" وطرت إلى القاهرة..

### تيارات في الخفاء!

وخرجت من المطار إلى أستوديو مصر رأساً وشرحت الموقف لمديره حسني نجيب بك. ونظر حسني في ساعته وقال: هيا بنا الآن لمقابلة محمود

غزالي بك –مدير الأمن العام وقتها– وبدأ غزالي بك حديثه معي بمحاضرة عن الدستور.

قال أن الدستور ينص على أن كل أجنبية تكتسب الجنسية المصرية إذا تزوجت من مصري، وأن هذا النص لم يعدل إلا بأمر إداري صدر "للمأذونين" بأن لا يعقدوا زواجاً من هذا النوع إلا بعد الرجوع لوزارة الداخلية.

وقال "غزالي بك" بعد هذه المحاضرة: والآن لو صرحنا لأسمهان بدخول مصر فإنها تكتسب الجنسية المصرية على الفور وهو أمر لم يتقرر بعد. وقلت له: وما الحل؟ ونظر غزالي بك في سقف غرفته وقال: تطلقها! وهتفت في شبه استنكار: أطلقها؟! وقال غزالي بك: نعم.. إننا نستطيع أن نصرح لها بدخول مصر ما لم يترتب على هذا اكتسابها للجنسية المصرية.. أي أن هذا لن يتم ما دامت زوجتك

وبدأت أقلب المسألة في رأسي: "ماذا أصنع وكيف أتصرف؟!"

وكان للمشكلة وجهان: أن أطلق أسمهان فيسمح لها بدخول مصر.. أو أرفض الطلاق فلا تدخل، وعليها أن تغادر فلسطين بعد ثلاثة أيام! وتغادرها إلى أين؟ لم أكن أدري.. وكيف والحصار محكم من كل ناحية حولنا.. وعاودني شعور الفأر المحاصر بين قطيع من القطط، ووجدتني بلا تردد أقول لغزالي بك: إني على استعداد للطلاق.

وطلب مني أن أنزل على الفور إلى أقرب مأذون وأعود إليه وفي يدي وثيقة الطلاق

**طلاق غرامي**

وكان أقرب مأذون إلي.. مأذون عابدين، ولكن مشكلة مهمة أوقفت الإجراء. قال المأذون أنه لا يستطيع أن يجري الطلاق ما لم تكن تحت يده وثيقة زواج مصرية أو مصدق عليها من الجهات الرسمية المصرية. وعدت لغزالي بك أطلب منه التصديق على وثيقة الزواج ليستطيع المأذون إجراء الطلاق، فرفض غزالي بك وقال أنه سيجرب محاولة أخرى، وأمسك بتليفونه فاتصل بوزارة العدل..

وأخيراً انتهى من محادثته فالتفت إلي وقال: إن قاضي محكمة السيدة زينب الشرعية سوف يحكم لك بالطلاق من الوثيقة الفلسطينية.

وأبرقت إلى أسمهان أشرح لها الموقف، وكان نص البرقية كما يلي:

الأميرة آمال الأطرش

فندق الملك داوود القدس

خشيت الداخلية عدم إمكاني إخراجك في نهاية الثمانية أشهر فطلبت مني الطلاق أمام المحكمة فقبلت وتحدد له الساعة التاسعة صباح السبت – بعد باكر – ولم يبق للداخلية طلبات جديدة مطلقاً بل سيصدر

التلغراف بالتأشيرة بمجرد استلام ورقة الطلاق على كل حال أنت لا تحبين سفر يوم الجمعة..كل تضحية في سبيل إنهاء مسألتك ستعمل. لك حبي

أحمد سالم

وفي صباح السبت تلقيت من أسمهان البرقية التالية: "أحمد سالم".. ٤٥ شارع سليمان باشا – القاهرة"

لم يصلني تغيير في الحالة –في شدة القلق– ومشتاقة إليك جداً– حبي إليك

آمال الأطرش

وتم الطلاق في نفس اليوم، وذهبت فوراً إلى مكتب غزالي بك وحالما تسلم وثيقة الطلاق أصدر أمره بإرسال برقية لأسمهان تحمل لها الأذن بدخول مصر. وخرجت أنا أيضاً؛ فأرسلت لها برقية كان نصها:

الأميرة آمال الأطرش

فندق الملك داوود – القدس

مبروك – مبروك – مبروك – تجدين تلغراف الوزارة في القنصلية هذه الساعة

أحمد سالم

ثم تلقيت منها أخيراً برقية تخبرني أن قطارها سيصل إلى القنطرة في الساعة الرابعة صباحاً وتطلب مني أن أنتظرها هناك. ماري على المسرح ودق جرس التليفون في بيتي، وكانت المتكلمة ماري قلادة التي شاركت أسمهان فيما بعد في مصيرها المحزن، والتي كانت تحبها حباً يصل إلى حد التفاني والعبادة.

ولم أكن قد لقيت "ماري" أبداً، وفوجئت بها وهي تطلب أن تقابلني لترى كيف يبدو زوج أعز مخلوقة في الدنيا عليها، وأحسست أنني مقبل على امتحان جديد، وكان موعدي مع ماري في شرفة "الكونتننتال" ووصفت لي نفسها وملابسها وبالفعل تم اللقاء وشرحت لماري كل الظروف.. وبدا لي أنني نجحت أمامها في الامتحان. وقالت لي مارى أنها تلقت برقية من أسمهان بأن تتصل بي وتجيء معي إلى القنطرة لملاقاتها، وكان لا يزال على موعد القطار وقت طويل؛ فقد كانت الساعة السابعة مساء والقطار يصل إلى القنطرة في الرابعة صباحاً وليس في القنطرة فنادق نقضي في أحدها الليل.

وخرجنا نتسكع في الطرقات ثم ذهبنا إلى السينما فشاهدنا فيلم "ليلى في الظلام" وخرجنا من السينما فغادرنا القاهرة إلى القنطرة، وكان الليل هادئاً، والسيارة منطلقة بأقصى سرعتها على الطريق الجميل إلى الإسماعيلية والقنطرة. وكان حديثنا كله عن أسمهان. قالت لي ماري: ما هو قرارك؟ وقلت لها: ليس لي حق الخيار قد ظهر لي أن كل الذين يستطيعون مساعدة "أسمهان" لن يفعلوا ذلك ما دامت زوجتي وأني لهذا السبب قررت

أن أبتعد عن حياتها، وأن عودتنا من القنطرة معاً ستكون آخر شيء في علاقتنا.

وبدا لي أن ماري كانت من نفس الرأي وقالت لي أن معلوماتها الخاصة وتحرياتها قادتها إلى هذه النتيجة وأنها كانت تريد أن تصارحني بها لولا أنها خافت أن تصدمني في مشاعري فآثرت السكوت.

ومدت ماري يدها في الظلام تبحث عن يدي، وصافحتني وهي تقول:

– سوف نصبح أصدقاء!

ووصلنا إلى القنطرة.. ووصل قطار أسمهان.

## وباقي الأحلام

وركبت إلى جانبي في السيارة وجلست ماري في المقعد الخلفي، وانطلقنا عائدين إلى القاهرة، وكان الفجر رائعًا، ولكن ما كان أعجب جماله في ظلال هذه المأساة! وروت لي أسمهان ما لاقته في الأيام الثلاثة التي عاشتها من غيري في القدس وكانت أياماً عاصفة مضنية! ثم بدأنا نتكلم في صميم المأساة! وشرحت لها ما استقر عليه عزمي وظلت تسمعني حتى فرغت وإذا هي تنفجر غاضبة، ودموعها تسبق ألفاظها

قالت لي أسمهان: هل زهدت في الكفاح من أجلي؟.. وهل تريد أن تتخلى عني؟.. وهل وجدت في هذه الظروف فرصة لتصحح خطأ ارتكبته بزواجك مني؟ وورطة وقعت فيها؟...

ومضت أسمهان في ثورتها على هذا النحو..

وقلت لها وأنا أحاول أن أسكن روعها: ولكن ما فعلت هذا إلا ومصلحتك أنت فوق أي اعتبار.

وقالت أسمهان وهي تنشج: أنت تعلم أن مصلحتي معك..

ثم أخذت والدموع ما زالت تبلل أهدابها تذكرني بأحلامنا.. وتقول: هل نسيت؟

ثم مضت في كلامها:

– لقد حققنا جزءًا صغيرًا من الحلم وما زال أمامنا أن نكافح لتحقيق بقيته.. لقد شعرت ونحن في طبريا – الأيام القليلة التي عشناها معًا على شاطئ البحيرة الجميلة – باستقرار لم أشعر به في حياتي فلماذا تريد أن تحرمني الآن منه

ومدت يدها فأدارت وجهي نحوها ونظرت في عيني وهي تقول:

– هل تريد أن أعود وحيدة شريدة من جديد؟

والتصقت بي وهي تمد يدها فتتعلق بذراعي وتعانقها بكلتا يديها الاثنتين وتقول:

– سوف نبقى معاً.. برغم كل شيء، وسوف يبقى زواجنا..

وتنحنحت؛ فقد كنت أريد أن أشهد ماري أنني غير مسئول عما حدث. وأنني أطالبها بالتدخل لو كانت تستطيع وتنهدت في صوت مسموع وعرفت أنها فهمت الإشارة السرية! وكانت السيارة قد وصلت إلى حدود القاهرة. وقالت لي أسمهان : – إلى أين؟ قلت: إلى الفندق... إلى الكونتيننتال، وقالت: لا ... قلت: إذن إلى أين؟ قالت: إلى كنيسة سانت تريز، ثم مسجد السيدة زينب ثم كنيسة مار جرجس!

وحملقت فيها بدهشة وأردفت هي:

– إنه نذر قديم...

وعدنا أخيراً إلى فندق الكونتيننتال.. وارتمت أسمهان على شيزلونج في غرفة النوم، وتنهدت وهي تتثاءب:

– أظن أن المسائل ستسير كما نريد بعد أن وفيت بهذه النذور...

ولم تكد تفرغ من جملتها حتى طرق الباب وقلت أنا بصوت عال:

– ادخل...

واعتدلت أسمهان، وفتح الباب، ودخل محمود غزالي بك مدير الأمن العام –وقتها–!!

## النبوءة تتحقق.. وتموت أسمهان!

وكان في عيني أسمهان لما عادت نذير خفي وأحسست أنها تكتم شيئًا، وسألتها أكانت فعلًا عند فؤاد الأطرش؟ وقالت: طبعًا أما قلت لك في التلفون أنني سأتغدى معه؟

وسكت، ولم تمض برهة حتى كشفت أسمهان أن ما قالته منذ قليل لم يكن الحقيقة، على الأقل لم يكن كل الحقيقة!

نادت أحد الخدم وسألته بعيدًا عني: هل هناك شيء يؤكل؟

ولم أكن في حاجة إلى قوة في الاستنتاج لأعلم أنها بالطبع لم تتناول غذاءً، وبالتالي لم تكن عند شقيقها فؤاد الأطرش.. وإذن فأين كانت؟ وهذا الوجوم.. هذا النذير الخفي الذي يطل من عينيها ما هو سره.. ونظرت إليها وبدا لي أنها تمسك أعصابها بشدة لكي لا تنفجر باكية.. وقلت في نفسي: لو كانت تتكلم أو كانت تعترف: ماذا يضايقها؟

وأحسست بالحيرة تمزقني، وسألتها مترددًا: أهناك شيء. وقالت بسرعة: أبدًا..

كم أتمنى الآن لو كانت تكلمت.. وأفضت إلي بما في نفسها وواجهنا الموقف معًا كما واجهنا غيره من قبل ومع ذلك فهل في استطاعتنا نحن المخلوقات البشرية الضعيفة أن نرد القدر أو نحول مجراه؟

وعلى أي حال لم تمض دقائق كثيرة حتى بدأ سر أسمهان ينكشف. دق التليفون وتناولت أسمهان السماعة وقالت: آلو... ثم سمعتها تقول: مين عاوزه؟ ثم تهز رأسها وتقول: حاضر.. وتناولني السماعة وقلت لها: من؟

وقالت بحدة– خيل إلي أنها متكلفة:

– صديقاتك.. صديقتك "ت" قلت وأنا أفكر: "ت" وما الذي يدعوها إلى أن تكلمني الآن؟

ورددت أسمهان وهي تنهض شبه غاضبة: وهل تسألني أنا؟

ثم كلمت "ت" وكان حديثًا عجيبًا، قلت لها بغضب:

– ماذا تريدين؟

## ولم تكن تريد شيئًا!

ولم تكن تريد شيئًا.. بل أحسست من كلامها أنها تمثل دورًا.. واشتد بي الغيظ فقلت لها: أهذا هو الوقت الذي تختارينه "للدلع" ثم أقفلت التليفون وجريت وراء أسمهان وكانت أسمهان كما قلت غاضبة.. ثم تحول غضبها إلى ثورة.. ولست أدري ما الذي جعلني أحس أن ثورة أسمهان

ليست منبعثة من أعماقها أحسست أنها تمثل دورًا رسم لها.. ولم تمض دقائق حتى تحول الشك يقينًا.

اقتربت من البيت سيارة جيب –ولم يكن يستعمل سيارات الجيب وقتها إلا الجيش الإنجليزي وإدارة الأمن العام – ونزلت من السيارة السيدة "ت".. ودخلت البيت وحاولت أن تواصل تمثيل المهزلة الصغيرة التي بدأتها في التليفون..

وقفز إلى ذهني خاطر سريع لم أتردد في تنفيذه.. اتجهت إلى ناحية جناح الخدم واستدعيت سائق سيارتنا وسألته: كنت فين مع الست؟ وقال السائق أنه أوصلها في الصباح إلى الخياطة فطلبت منه أن يعود ليأخذها بعد الظهر من فندق الكونتننتال وأضاف السائق أنه لما ذهب إلى الفندق بعد الظهر أرد أن يخبرها بمجيئه فسأل عنها: أين توجد في الفندق؟.. وقيل له أنها في جناح غزالي بك وصعد إلى جناح غزالي بك، ودخل يسأل عنها، ثم لمحها تجلس في الصالون مع غزالي بك ومع السيدة "ت"!

### كل شيء يظهر

وانكشفت المؤامرة كلها أمام ناظري، وإن لم أستطع أن أفهم إلى أين تتجه.. وعدت إلى الصالة حيث كانت أسمهان مازالت واقفة مع السيدة "ت" وقلت وأنا أمنع نفسي بشدة من الانفجار: هذه مؤامرات لا تجوز علي.. وبدأت أصعد السلم إلى غرفتي ثم استبد بي الغضب فصحت من أعلى السلم: ينقصكم الشريك الثالث لكي تتم الرواية!

ودخلت غرفتي وأقفلت الباب وكان الدم يغلي في عروقي.

**الندم**

ولأول مرة منذ تزوجت أسمهان بدأ الندم يطغي على تفكيري.. ما كان أغناني من هذا كله.. ولماذا تتصرف هي الآن على هذا النحو.. ومع ذلك لما عرضت عليها أنا – منذ أسابيع قليلة– أن نفترق وأن يبتعد كلانا عن الآخر ألم أقل لها أن هناك كثيرين على استعداد للوقوف بجانبها مادمت ابتعد عن طريقها..

وتذكرت ما كانت تقوله لي وقتها وبدت لعيني نظرة العتاب الهائلة التي كانت ترتسم في عينيها حينما تهمس في أذني: "عاوز تتقهقر".. ثم يرن في أذني صوتي حين كنت أقول لها بعزم: "لأ.."

ثم أعود إلى نفسي فأقول: "ليتني كنت قلت نعم.. وليتني تقهقرت ولن تصل الأمور إلى ما هي عليه الآن" وكنت أتمشى في الحجرة جيئة وذهابًا.. واقتربت من إحدى النوافذ فلمحت سيارة أسمهان تبتعد.. وسألت نفسي إلى أين تراها ذهبت.. ثم دققت النظر أبحث عن سيارة الجيب ولم أجدها. انصرفت هي الأخرى بعد أن أدت دورها المخزي.. ولمحت رجلين بجوار الباب، وناديت أحد الخدم، أسأله من هما...؟ وعاد الخدم بعد قليل يقول:

– لقد جاء في "الجيب" مع السيدة "ت" وهما يقولان الآن أنهما مخبران في البوليس..

وجن جنوني.. وطلبت مأمور الجيزة أسأله بأي حق يضع بعض "مخبريه" أمام بيتي.

وقال لي المأمور في دهشة: أنه لم يرسل أي مخبر من عنده..

ثم قال أنه سيجيء بنفسه ليستطلع الخبر...

وجاء بعد دقائق، وتحدث معها برهة ثم اتجه إلى التلفون وكانت النتيجة أن بقي هو الآخر

**الهرب إلى السلام**

ورأيت أن أسلم ما أفعله أن أعود إلى غرفتي لأفكر ليس أمامي إلا طريقان، أولهما أن أعود إلى بلدي "أبو كبير" وأنسى هذه القصة المؤلمة من حياتي. وثانيهما أن أقبل التحدي وأبقى.. واستولى علي العناد، وارتميت على الفراش وأنا مصمم على البقاء وليكن ما يكون..

ولكن الصباح غير أفكاري.. نظرت من النافذة التي تنسكب بها أشعة الشمس الساكنة، وألقيت نظرة على الحديقة الهادئة وراءها حقول مترامية ومنازل متفرقة يسري فيها الهدوء والسلام.. وفاض شعوري بالرغبة في تجنب المشاكل. واستدرت من النافذة وبدأت أحزم حقائبي وفي نيتي أن أسرع فورًا إلى "أبو كبير"

### وتدخل القدر!

وكم أنا آسف -الآن- وبعد مرور سنوات على هذا الذي حدث أن القدر تدخل فجأة فغير كل شيء ومهد للأحداث الرهيبة التي توالت بعد هذا بسرعة مخيفة.. احتك بي أحد الضباط - ضابط صغير كان قد جاء لتعزيز الرقابة على كما يبدو - ووجدتني أثور عليه... ثم أقول له:

- هل مهمتك أن تشرف على طردي من بيتي.. لن أخرج وتذهب أنت ومن أرسلك إلى هنا في "ستين داهية"!

ومرة ثانية أقولها كم أنا آسف -الآن- وبعد مرور سنوات على هذا الذي حدث- أنني قبلت التحدي! والحق أنني ساعتها لم أكن في الحالة التي تمكنني من الحكم على الأمور.. كنت كمن يعيش كابوسا مخيفا.. وأحسست أنني محموم.. وأنني غريق في بحر ثقيل الأمواج ولا أستطيع بين تياراته الطاحنة أن أجد مخرجًا أو سبيلًا للنجاة!

### سأجيء بسرعة

وفي الساعة السادسة جاءتني الخادمة "فاطمة" بالتليفون وهي تقول لي: أن "الست" تطلبني. وكانت المتكلمة أسمهان.. وقالت أسمهان أنها في بيت صديقتها "ز" وقالت أنها قضت وقتًا سيئًا منذ خرجت من البيت.. وأنها تحس أنها دفعت في طريق لا تريد السير فيه وأنها نادمة ودار ذهني بسرعة.. ثم كتبت لأسمهان الغلبة لما قالت:

– تعال الآن وخذني...

ووجدت نفسي أقول لها أني سأجيء بسرعة..

### الهدوء الضائع

وفي منزل صديقتنا "ز" وجدت أسمهان مشتبكة في مناقشة مع "ماري قلادة"، وكانت ماري تحاول منعها من العودة إلي وأعترف أن "ماري" كانت منطقية في حججها التي تقوم على الاعتراف بالأمر الواقع.. ولمن أسمهان وأنا كنا نعيش في غيبوبة.. وخرجنا ومعنا الصديقة "ز" وعدنا إلى البيت وأنا أحلم بفترة هدوء..

### بداية العاصفة!

ولم يكن قد مضى علينا في البيت نصف ساعة حين جاء أحد الخدم– وكنا في غرفتي– يقول: في الصالة اليوزباشي إمام من ضابط القلم السياسي – الأميرالاي مُحَمَّد إمام – وأن معه ضابطين آخرين وهم يطلبون مقابلتي.

ودهشت ثم انتابني إحساس شديد بالخطر وقلت لأسمهان في استنكار: أهذه بقية الرواية..

وردت أسمهان بسرعة: أقسم لك إنني لا أعلم شيئًا.. ثم استطردت تقول في صوت خافت: ربما كانت ماري وسكتت.. ثم عادت تقول:

– سوف أنزل أنا و"ز" ونقنع إمام بأن يتركنا وينصرف!

ونهضت من مكاني فأحضرت مسدسي من الدولاب ثم عدت إلى السرير مرة ثانية.

وخرجت أسمهان وسمعتها تنزل السلم ثم ترامى إلي حديثها مع اليوزباشي إمام وكان هو يطلب أن يقابلني بحجة أنه تلقى أوامر من سليم زكي بك أن يحافظ على أسمهان فإنه– سليم زكي بك– يعتقد أنني قد أكون خطرًا عليها.

وسمعت أسمهان تقنع إمام بك أن كل شيء هادئ وعلى ما يرام. وأنه ليس من خطر على الإطلاق إلا ظهوره أمامي.

**إمام مصر!**

ويبدو أن "إمام" كان قد تلقى تعليمات مشددة فقد سمعته يلح في الصعود إلي وألقت أسمهان بآخر سهم في جعبتها فقالت له:

– اسمع... إن أحمد معه مسدس وأخشى أن يؤدي صعودك بهذا الشكل إلى عواقب وخيمة.

وسمعت صوت إمام يصعد درجات السلم ثم يطرق باب غرفتي ويدخل، ودخل إمام في مظاهرة ودية تعمد أن يضفي عليها كل مظاهر الهدوء وقال لي:

– لقد جئت لأطمئن فقط

واستطرد وعلى شفتيه ابتسامة عريضة:

– إن ذلك يهمني.. فأنا معجب بك من زمن طويل..

ورددت التحية وقلت له:

– لقد سبقني فقد كنت أريد أن أهنئك على كل هذا النجاح المتلاحق..

وكنت أشير إلى توفيق إمام في حادث القبض على عزيز المصري باشا والأستاذ أحمد حسين.

### حرب النظرات

وأحسست أن نظر إمام يتجه إلى المسدس، وبرق في ذهني خاطر سريع كالبرق.. هذه فرصة رائعة للتخلص من.. إن بجواري مسدسًا غير مرخص ونحن في زمن حرب وأحكام عرفية وحمل السلاح بدون ترخيص جريمة.

يا لها من فرصة سانحة.. وأنا بنفسي أقدمها.. ونظرت في عيني إمام.. وخيل إلى أن لقاء أعيننا كان كلقاء سيفين وأحسست أنه أدرك أني فهمت.. ونهض هو فجأة فخرج يتحادث بالتليفون وكررها مرة أخرى. وأحسست بحرجة الموقف. وتمنيت لو كنت أخذت حقائبي التي حزمتها

وسافرت إلى أبو كبير... وتركت هذا كله وراءي. لو كنت فعلت هذا.. لو كنت فعلته.. لو .. وماذا يجدي هذا كله الآن.. لم أفعله.. لم أفعله وهذه هي النتيجة.. وها أنذا في هذا الموقف.. وغمرني شعور بالندم.. ثم عاد "إمام" إلى الغرفة وعدت أواجه الخطر..

ودق التليفون بعد دقيقة، وكان المتكلم سليم زكي بك.. وكان يريدني أنا.. وأمسكت بالسماعة ويبدو أن هذه كانت فرصة إمام التي دبرها وانتظرها لينتزع مني المسدس.

وهجم "إمام" ولكن يدي استماتت على المسدس، ثم أفلت زمام الموقف من يدي وسمعت دوي رصاصة.. ثم رصاصة أخرى وأحسست بشيء بارد يسري في جسدي.

**الهدوء بعد العاصفة**

ووقع إمام على الأرض ينزف دمًا.. واعتدلت أنظر إليه ولم أستطع أن أقوم بحركة ثم أحسست فجأة أنني لست على ما يرام.. وفجأة أحسست بشيء ساخن، ونظرت وإذا أنا أيضًا أنزف دماء بغزارة.. وعرفت أنني أصبت.

ولم أفقد وعيي بل كنت أحس بنوع غريب من الراحة.. لقد كنت قبلًا أحس إنني في دوامة أحداث لا تقف فلما أطلق الرصاص وسقطت أنا وسقط إمام توقف كل شيء فجأة وأحسست أنني بعدت عن الدوامة...

وسرى في شعور الذي يجلس على مقعد في أحد المسارح يشهد تمثيلية أمامه هو نفسه بعيدًا عن الاشتراك فيها..

وقام الضابط الذي صحب إمام وبعض الخدم بحمل إمام.. ثم حملت أنا أيضًا.. ووضعت في سيارة إسعاف إلى القصر العيني، وكنت أحس بكل ما حولي.. وابتسمت وأنا أحمل إلى غرفة الكشف.. فقد نظرت إلى السرير المجاور لسريري.. وإذا "إمام" راقد فيه.. وأحسست أن الابتسامة تختفي رويدًا رويدًا... ومعها شعوري اليقظ حتى هذه اللحظة- بما كان يدور حولي. بدأت هذه اليقظة تضمحل شيئًا فشيئًا.. وقبل أن يغيب نهائيًا شعوري بما حولي أحسست أن باب الغرفة قد فتح وأن بعض الناس قد دخلوا..

وشددت على نفسي لأفتح عيني وأرى الداخليين، وفتحت نصف عين ورأيت الدكتور عبد الله كاتب ووراءه اثنان من مساعديه. وأحسست أنني انقسمت نصفين، أو على الأصح خرجت من جسدي النائم روح غير منظورة جلست على منضدة في الغرفة تراقب ما يحدث، وتحملق بين الحين والآخر في جسدي الذي ينزف دمًا..

ورأت روحي غير المنظورة الدكتور الكاتب يفحص إصابة إمام ثم يقول: إصابة سطحية.

ويستدير إليّ فيفحصني فحصًا دقيقًا، وخيل لي أن روحي غير المنظورة أن شفتي جسدي تتكلمان أو تحاولان الكلام مع الدكتور

الكاتب... ثم طرق سمعي صوته وهو يقول باللغة الإنجليزية التي اعتاد الأطباء أن يتكلموا بها بحركة لا إرادية أمام المرضى. "لا أمل..." ثم سمعته يقول كلمات رثاء. كان يعرفني وكان يتوقع لي مستقبلًا وهز رأسه وقال:

– على أي حال انتهى كل شيء...

وسكت ثم استطرد:

– لا تبلغوني إذا حدث له شيء فإني أريد أن أؤجل هذا الخبر بالنسبة إليّ بقدر الإمكان

وخرج الكاتب الدكتور.. وخيل إلى روحي غير المنظورة الجالسة على المنضدة أن جسد أحمد سالم المضمد بالأربطة قد راح في غيبوبة عميقة.

وأفقت فوجدت مساعد الدكتور الكاتب، وهو الدكتور إسماعيل السباعي ينحني علي في هدوء ويجس نبضي... ونظرت إليه وخيل إليّ أن روحي غير المنظورة قد تقمصت جسدي مرة أخرى وقلت للدكتور السباعي وأنا ابتسم ابتسامة ذابلة:

– لا تتعب نفسك.. إني أعلم كل شيء...

وكان في ابتسامتي الذابلة وثوق غريب... وثوق بالموت!

وابتسم إسماعيل وقال:

– كان هذه صحيحًا منذ عشرة أيام

وصرخت وقلت له: عشرة أيام؟!

قال: أجل...

قلت: هل مضت عليّ عشرة أيام هنا...

قال: لقد كنت في غيبوبة..

وأحسست بالحياة تجري في عروقي وانتابني شعور غريب.. وجاءت إحدى الممرضات تقول أن شخصًا يلح في رؤيتي اسمه جعفر.. وتذكرت قارئ الكف.. وقلت لها: دعيه يدخل.. ودخل وبادرته بصوت خافت لقد صحت نبوءتك ولكن بالعكس. سأموت أنا وليس هي.. قال: أبدًا سوف ترى.. وأخرجه الطبيب، وكانت الغيبوبة قد بدأت تزحف عليّ مرة أخرى.

وتملكتني الغيبوبة ثلاثة أيام وأفقت صباح يوم جمعة، ووجدت أمي تمسك بيدي وأنا أفتح عيني وكان أول ما طالعني ابتسامتها الحبيبة المشرقة... وأحسست إني أعود إلى الحياة.. وفجأة دخلت إحدى الممرضات تهمس شيئًا في أذن أمي ثم لاحظت اضطرابًا في الغرفة... وسألت.. ثم ألححت في السؤال وقالت أمي بصوت مرتعش: يقولون أن أسمهان قتلت في حادث سيارة..

وتحاملت على نفسي لأقول بحدة: هذه مداعبة سخيفة، ولم تمض دقائق حتى بدأ الخبر يتأكد من عدة مصادر... ثم دخل أحد الأطباء يحمل جريدة المقطم وفيها الخبر!

وأحسست بحزن هائل يعصرني.. وفجأة دخل الدكتور السباعي، وقال للجالسين أنه يرى أن يخرجوا جميعًا ويتركوني وحيدًا... وخرجوا.. وأقفل الدكتور إسماعيل الباب عليّ، وتركني وحيدًا في الغرفة..

ومضت ساعة وعاد إليّ ثم نظر في عيني وقال:

– لقد كنت أعلم أنك في حاجة للبكاء.

وأحسست أني أغوص في بحر ثقيل رهيب، وشعرت بوخزة في ذراعي وفتحت عيني فوجدت إسماعيل ينحني عليّ وفهمت ماذا يفعل وغمغمت في صوت خافت:

– مورفين..؟!

وأحسست أني أهوى في أعماق البحر الثقيل الرهيب ...

نشرت المقالة في عددين متتالين من مجلة آخر ساعة أواخر عام ١٩٤٥

## قصة أسمهان .. التي لم تعرف الحب

مُحَمَّد التابعي

ابنتي لا تحبك! هذا ما قاله لي الدكتور بيضا ونحن جلوس حول مائدة الغداء في فندق سان جورج في بيروت.

ولكن هل عرفت أسمهان الحب؟.. الحب الحقيقي.. القوي الجارف.. العاطفة العلوية التي تعيش بين الأمل والألم وتسمو بالنفس إلى حد التضحية من أجل من تحب!!

قالت لي مرة السيدة أمها أثناء مشهد عاصف جمع بيننا نحن الثلاثة، قالت وهي تشير إلى أسمهان بإصبع يهتز غضًا:

– لا تخدع نفسك في أمرها! إنها لا تحبك! لأنها عمرها ما أحبت رجلًا، ولن تحب عمرها.. صدقني فأنا أعرف الناس بإيميلي!

وبعد هذه السنوات، وعندما أخلو بنفسي وأستعيد الذكريات الماضية ما بين ما ذكريات حنون وعزيزة غالية وذكريات باسمة وأخرى حزينة أو مؤلمة باكية.. أعود فأقول "كانت السيدة عالية على حق!" فأسمهان لم تعرف الحب، وعمرها ما أحبت ذلك الحب الذي تغنى به الشعراء!"

وبقدر ما كانت كريمة مسرفة في متاع الدنيا ومالها، كانت شحيحة ضنينة بعواطفها، لا تعطي منها إلا النزر اليسير أو أقل القليل! ومع ذلك ما أكثر الذين غبطوا أنفسهم على أنهم فازوا بحب أسمهان.. ثم ما أكثر الذين أفاقوا من أحلامهم فإذا حب أسمهان وهم من الأوهام!.. أكان ذلك لنقص في أنوثتها؟ كلا، فقد كانت أسمهان ذات أنوثة طاغية! أم كان ذلك لجمود في عواطفها أو بلادة أو برود في إحساساتها؟ كلا، فقد كانت رحمها الله طيبة القلب جدًا. كريمة النفس رقيقة المشاعر، مرهفة الإحساس أصيلة العنصر والعاطفة.

عمري ما سمعتها تنطق بكلمة نابية في حق إنسان حتى ولو كان أساء إليها وما أكثر الذين أساءوا إليها في حياتها.. فكانت تلقى إساءتهم بالصبر والسكوت.. وإذا ذكرتهم، ذكرتهم بالخير أو التمست لهم الأعذار! إذن لماذا لم تعرف الحب في معناه الحقيقي الأصيل!

هناك أكثر من سبب.. أولها وأهمها الأنفة والكبرياء!! كبرياء الدرزية بنت الصخر والجبل! بنت الصخر الصلد والجبل الأشم الأسود. أو أنفة الظبي النافر في فيافي الصحراء! لم يكن إذن في طبيعتها ولا في تكوينها أن تسلم أو تسلس قيادها لمخلوق!

ومن طبيعة الحب أن يعطي المرء بعضًا من حياته ومن قلبه ومن حريته ومن سيادته، ولقد كانت سيادتها على نفسها وحريتها في أن تفعل ما تشاء وتشتهي هي كل شيء عند أسمهان!

لعبت بالحب.. نعم. ومدت يدها للحب.. نعم. ولكن لم تكن يدها تشتبك حتى تسحبها وتجفل! ولم تكن تخطو خطوة حتى تخاف وتتراجع خطوتين! ومن هنا كان الحب عندها أن تأخذ كل ما تستطيع من العواطف –إن جاز هذا التعبير– وأن تعطي أقل ما يمكن من عواطفها هي! أو بعبارة أخرى كانت تأخذ أكثر الكثير وتعطي أقل القليل! وهكذا مشت حياتها وقد خلفت وراءها صرعى كثيرين!

## ليس عندها وقت للحب

ثم هناك سبب آخر..لم يكن عند أسمهان وقت للحب! لهذا الحب الذي يتغنى به الشعراء ويعيش له وبه رجال ونساء! كانت تؤمن في قرارة نفسها – ولا أدري لماذا أو كيف – أنها قصيرة الأجل وأن نصيبها من هذه الحياة قليل.. ومن هنا – وكما قلت في الفصل السابق – كان خيالها خيال الشيخوخة المريضة اليائسة من رحمة الله ورحمة الناس! هذا وهي بعد في ربيع العمر والشباب. وكم من مرة قالت يرحمها الله بقدر ما أساءت إلى نفسها لي وأنا أزجرها لسبب ما:

– استحملني! كلها سنة أو سنتين كمان وترتاح مني.. أنا عارفة إن موتي قريب!

وليس هذا من خيال كاتب يستجدي دموع قرائه ولكنها الحقيقة ويشهد على صدقها صديقات أسمهان اللاتي سمعن منها نفس العبارة وهي أنها لن تعيش طويلاً.. كان هذا هو إحساسها أو شعورها وهو أنها لن

تعيش طويلاً ومن هنا مشت في الحياة وهي تلهث شأن الذي يمشي على عجل! كانت تهوى الجمال في كافة ألوانه ومعانيه، الموسيقى.. الشراب الجيد.. الطعام الجيد.. الزهر الجميل.. العطر الجميل.. الثوب الجميل.. الصوت الجميل.

غروب الشمس في لجة من الذهب المذاب.. كان يملأ عينيها الجميلتين بالدمع. أو نور القمر أشبه بقطرات الفضة تتساقط من بين أوراق الشجر الكثيف.. كان يمسك بأنفاسها ويشيع في وجهها .. عجبًا من جمال الله وصنع الله!

شهدنا مرة – هي وأنا – شروق الشمس عند اللسان في رأس البر فإذا بها تخرج مصحفًا صغيرًا كانت تحمله دائمًا في حقيبة يدها، وتقبل الكتاب الكريم وتبكي! يرحمها الله! لو أن المتناقضات جمعت في شخص واحد لكان هذا الشخص إيميلي الأطرش أو أسمهان! كانت إذن تهوى الجمال في كل معنى وكل لون، ولكنها كما قلت كانت تمشي على عجل!.. تسرع الخطى وتلهث لأن عمرها قصير.. وكانت تريد أن تتذوق من كل معنى وكل لون من ألوان الجمال، بل وتملأ راحتيها وتنهل. ولكن دائمًا على عجل!.. وقتها قصير لأن حياتها قصيرة.. هكذا كانت تعتقد، وعمرها ما صدقت في شيء كما صدقت في هذه النبوءة التعسة!

لهذا لم يكن عجيبًا – وهذا شأنها – أن لا يطول وقوفها عند الحب، لأن الحب –عندها – لم يكن سوى معنى واحد أو لون واحد من ألوان

الجمال.. وهي كما قلت كانت تريد أن تعب من كلمعنى وتنهل من كل لون!

وأعود الآن إلى سياق الحديث.

عدت إلى القاهرة في مساء يوم الجمعة ١٢ يناير ١٩٤٠، وأرسلت إلى آمال أسطوانة "ليت للبراق عينًا فترى" و"بقلاوة الصمدي" و"حلوى البحصلي"، وأجد في مفكرة الجيب بتاريخ الأحد ١٤ يناير هذه العبارة المقتضبة: "كلمتني آمال بالتليفون لتسلم عليّ بمناسبة عودتي" ثم أمشي في مفكرة الجيب فلا أجد حرفًا واحدًا عنها إلى أن أصل إلى يوم الأربعاء ٢٤ يناير: "كلمتني آمال بمناسبة عودتها من مطاي"، وقد عرفت منها فيما بعد أن كبيرًا – يرحمه الله – كان استضافها هي وشقيقها فريد في ضيعته بمطاي. ثم زارتني في اليوم التالي الخميس. وكانت محكمة الجنايات أصدرت حكمًا بتعطيل مجلة "آخر ساعة" لمدة ثلاثة شهور تنتهي في آخر يناير.

وفي مفكرة الجيب بتاريخ الخميس أول فبراير:

"أقمت حفلة ساهرة بمناسبة استئناف إصدار المجلة ودعوت فريقًا كبيرًا من الصحفيين. وغنت أم كلثوم وفريد الأطرش أما أسمهان فقد اعتذرت بالمرض من عدم الحضور!"

ولكنني كتبت في يوم ٢ فبراير:

"كلمتني أسمهان بالتليفون ثم زارتني واعترفت أنها لم تكن مريضة ولكنها لم تحضر بسبب أم كلثوم!"

وأذكر من كلامها يومئذ قولها وهي تضحك:

– يبقى كتير على حفلة واحدة.. أنا وأم كلثوم!

وقد يظن أحد من هذه العبارة أن أسمهان كانت تغار من أم كلثوم، وهذا غير صحيح لأن آمال كانت تعجب جدًا بصوت أم كلثوم من ألوان وطبقات لم يهبها الله لصوت مطربة سواها. بل كثيرًا ما كنت ألقاها جالسة تصغي لأسطوانة لأم كلثوم وقد أقبلت عليها بكافة جوارحها وشفتاها ترتجفان شأنها عندما غلبها التأثر وفي عينيها ما يشبه الدموع.

لم تكن الغيرة إذن هي التي منعتها من حضور الحفلة، ولكنها الكبرياء! الكبرياء هي التي أبت عليها أن تشهد حفلة يكون لها فيها المقام الثاني! وكانت آمال تقيم يومئذ في فندق مينا هاوس. وقالت وهي تهم بالانصراف أنها تدعوني للعشاء غدًا في مينا هاوس وأنه سيكون معنا السيد واصف عز الدين والسيدة حرمه والسيد حبيب أبو شهلا، وكلا السيدين من وزراء لبنان السابقين. وكنت سعدت بمعرفتهما وقضاء سهرة رأس السنة معهما في بيروت. وكانا حضرا إلى القاهرة منذ أيام في زيارة قصيرة.

ولبيت دعوتها، وكانت سهرة جميلة أضفت عليها آمال الكثير من ظروفها ومرحها. وغنت فيها أغان لبنانية طرب لها أصدقاؤنا الكرام.

وبعد ذلك ببضعة أيام – وعلى وجه التحديد في يوم الخميس ٨ فبراير – أقمت في داري حفلة لأصدقائنا اللبنانيين هؤلاء. وكان بين المدعوين أحمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك فاروق وغنت أسمهان في هذه الحفلة، وغنى كذلك صديقي مُحَمَّد عبد الوهاب.

هل أحبت أسمهان أحمد حسنين باشا؟!

وأقف هنا قليلًا عند هذا التاريخ –٨ فبراير ١٩٤٠–لأنني أعده نقطة التحول في حياة أسمهان، أو بداية الطريق الذي اختاره لها القدر والقضاء، ففي تلك الليلة كتب القدر في لوحه المحفوظ أنه بعد أربع سنوات أو نحو ذلك سوف يحاول الأستاذ أحمد سالم أن يطلق الرصاص على زوجته الكوكب السينمائى المطربة أسمهان أو آمال الأطرش بسبب شكوكه وغيرته من أحمد حسنين باشا. وأن هذا الحادث سوف يرهق أعصاب آمال فتركب سيارة إلى رأس البر لكي تستريح فيها وتسترخي، ولكنها تلقى منيتها المفجعة في الطريق! نعم كان مساء ٨ فبراير نقطة التحول أو بداية النهاية التي اختارها القدر لأسمهان. أستغفر الله، ولكن لولا هذه الصداقة التي قامت بينها وبين حسنين باشا يرحمه الله لما كان ما كان ولاتصلت الحياة في عام ١٩٤٤ هنية راضية بينها وبين زوجها أحمد

سالم، ولا كان حادث إطلاق الرصاص. ولما سافرت لرأس البر، ولما لقيت منيتها في الطريق، ولكنه القدر، ومرة أخرى أستغفر الله.

لقد قلت في الكلمة التي قدمت بها هذه القصة أنني كنت أوثر كثيرًا ألا أنشر مذكراتي عن أسمهان لأسباب وأسباب، ومنها أنني حريص على ألا أعرض لشخصيات لها في نفوس الكثيرين احترام وتقدير، وألا أعبث بالجروح التي أرجو لها الشفاء.. ومن هذه الشخصيات: أحمد حسنين باشا يرحمه الله.

بعد أيام من الحفلة أو هذه السهرة دعانا حسنين باشا لتناول الغداء، ثم إلى حفلة ساهرة في داره، وتوالت بعدها الحفلات والسهرات، عنده أو عند أصدقائنا.. ومن هنا تعددت مقابلاته لأسمهان. ودعتني مرة لتناول الشاي معها وكانت لا تزال تقيم في فندق مينا هوس، وبينما نحن جالسون نتحدث دخل علينا حسنين باشا. وقالت هي بعد انصرافه: أنها لم تدعه لتناول الشاي وأنه جاء على غير موعد. وقد تكون يرحمها الله صادقة في قولها هذا يومئذ.. ولكن حسنين كان رجلًا ولا كل الرجال! كان رجلًا يفتن ويسحر ويبهر ويستوقف النظر في أية حفلة مهما اشتد فيها الزحام! شكله.. مظهره.. أناقته.. رجولته.. اسمه المدوي.. تاريخه المليء.. منصبه الخطير.. مغامراته المشهورة.. حديثه الساحر.. خبرته العميقة بالنساء وطباع النساء.. لا عجب أن بهرت به أسمهان.. ولأول مرة أحست آمال بما يشبه الحب..

كان أحمد حسنين أول رجل – أو الرجل الوحيد كما أعتقد اليوم – الذي عرف كيف ينساب في كياسة وحذر إلى هذه الكبرياء النافرة ويجعلها تأنس إليه وتطمئن وتسلس له قيادها.. ولكن إلى حد ما!

وهو؟.. هل أحبها؟ نعم أحبها وفي غير تحفظ إلا ما كان يفرضه عليه منصبه الكبير الخطير.. وكان حبه لأسمهان أمرًا معروفًا في المحيط الرفيع الذي كان يتحرك فيه. وإني لأسأل نفسي هنا هل أكتب وأنشر كل ما أعرف؟ وهل أذكر مثلًا أنه كان هناك كبير آخر يشغل هو أيضًا منصبًا كبيرًا من مناصب الدولة وهو المرحوم مراد محسن باشا مدير الخاصة وقد أحب أسمهان، وأن الغيرة أو المنافسة، قامت بين الرجلين الكبيرين، وأن سير العمل في ديوان فاروق كاد يتعطل بسبب هذه الغيرة بين الاثنين؟! لو أنني كتبت لأدرك القراء ورأوا أنه كان لأسمهان أثر – أي أثر، وإن يكن عن غير قصد منها – في سياسة مصر الداخلية وما كان يجري بين "الكواليس" في عام ١٩٤٠.

ومضت معرفتي أو صداقتي بأسمهان بسيطة طيبة.. صداقة خالصة لا شيء فيها.. كانت تسأل عني بالتليفون، وكنت أسأل عنها بالتليفون. ومرة واحدة في كل أسبوع – وغالبًا في يوم الأحد – كانت تتناول معي الغداء ونجلس ونتحدث ونتبادل الأخبار مثل أي صديقين. وكانت صريحة معي، لا تخفي عني شيئًا من أخبارها.. فلان باشا يتودد إليها وقد أهدى إليها صندوق شمبانيا.. ودعاها لمقابلته في مكان كذا ولكنها لم تذهب! وفلان – الوزير السابق – دعاها لتناول العشاء معه ومع زوجته وأولاده.. وبينما هم

حول المائدة مد يده من تحت غطاء المائدة يحاول أن يمسك بيدها! حسنين باشا دعاها لتناول الغداء، ثم تركها ولكنه عاد بعد دقائق وقد استبدل ملابسه ووقف أمامها يقول:

– هذه سترة لركوب الخيل!

ثم خرج من باب، وعاد من باب آخر وقد استبدل ملابسه مرة أخرى ووقف أمامها يقول:

– وهذه سترة للصيد!

ثم خرج.. وعاد يقول:

– وهذه سترة التشريفة الكبرى.. وهذه بدلة السهرة .. وهذه بدلة الفراك .. وهذه "البونجور"..

قالت: وأخيرًا قمت أتفرج على خزائن ملابسه لكي أوفر عليه مشقة هذا الاستعراض! ووجدت فيها عشرات السترات. وعشرات رباطات العنق. وعشرات من القمصان، ولكني لم أجد منديلًا واحدًا ذا قيمة، كل مناديله كانت من القطن، أو من التيل الرخيص!

وضحكت وقالت:

– وفي اليوم التالي أهديته أربعة وعشرين منديلًا من "اللينو".

وكانت يرحمها الله تقص على أخبارها هذه – أو نوادرها مع عظماء مصر وكبرائها– وهي تضحك وتقول:

–آه لو تستطيع نشر هذه الأخبار، إذن لعرفت مصر الكثير عن زعمائها وكبرائها المشهورين!

كانت صداقتنا كما قلت طيبة خالصة. وقد قنعت منها أنا بهذه الصداقة فكنت أرتاح للجلوس معها. وكانت هي تطمئن إلى وتثني بي وتلجأ إلي كلما نزلت بها شدة أو حرج كما حدث في مناسبات عديدة. وأمامي الآن وأنا أكتب خطاباتها وبرقياتها العديدة التي أرسلتها إلي تارة من القدس وتارة من دمشق أو بيروت وفيما ما فيها.. وقد أنشر بعضها فيما يلي من الفصول.

وأمامي كذلك خطاب جاءني أخيرًا من قنا وقد اكتفى صاحبه بإمضائه "المخلص" وفيه يقول أنه سمع من سيدتين شقيقتين كانتا من أعز صديقات المرحومة أسمهان كذا وكذا، وأنها قاست مني كثيرًا بسبب إسرافي في الشكوك والظنون، ثم يطلب مني أن أجلو هذه النقطة وأردت وها أنذا أفعل وأقول أن ما سمعته من السيدتين غير صحيح، وأن الصحيح هو أن أسمهان رحمها الله لم تحبني ولم تكن لأي رجل حبًا بالمعنى الصحيح.

ربما كنت اعتقدت في وقت ما أن قلبها يطوي لي شيئًا أكثر من الصداقة وأقوى من الود، وربما كنت تحدثت إلى بعض صديقاتها في هذا، ولكن الحقيقة هي ما أقول الآن. وهذه الحقيقة هي أنه لم يكن هناك من

جانبها أي حب لي وما أنا بمغرور حتى أطوي قلبي على وهم لا ظل له من الحقيقة. كانت تضمر لي ودًا، نعم، وكانت هناك صداقة وثقة وتقدير. ولكن هذا كل ما كان هناك.

### أسمهان طيبة القلب

وهذه حادثة أقصها لا لأن لها دلالة خاصة ولكن لأنها تكشف عن ناحية من أخلاق آمال الأطرش ومعدنها الأصيل. دعتها مرة مطربة –من مطربات الدرجة الثانية أو الثالثة– لحضور حفلة لها ولبت أسمهان دعوة أصحابها. وجلست في البنوار الذي وضعته المطربة الداعية تحت تصرف أسمهان. ورفع الستار وانطلقت المطربة تغني بصوت أشبه بصرير الباب العتيق! وزمت أسمهان شفتيها وشدت على أسنانها.. أما أنا فقد تراجعت بمقعدي إلى مؤخرة البنوار.. وتهيأت للخروج!

ولكن أسمهان أصرت على أن تبقى إلى نهاية الحفلة.. والتفتت إلي تهمس وتهددني بأنها مستعدة لأن تعمل فضيحة وتمسك بخناقي إذا لزم الأمر لكي ترغمني على البقاء!.. وصاحت في.. أقعد! وقعدت، واضطررت أن أسمع صرير الباب العتيق، إلى ما بعد منتصف الليل! ولما خرجنا إلى الشارع قالت:

– هل يكلفك كثيرًا أن تجبر بخاطر الناس؟ أي ألم كنت أسببه لها لو كانت رأتني أغادر حفلتها بعد الوصلة الأولى؟

– ولكن من مصلحتها هي نفسها أن تعرف أن صوتها لا يصلح للغناء..

وابتسمت رحمها الله وهي تقول:

– دعها تغني فلعل بلوى الناس بسماع صوتها أخف كثيراً من بلواهم بها إذا هي اشتغلت بغير الغناء!

ومضينا نبحث عن تاكسي.

وعلى إفريز شارع عماد الدين عند ناصية شارع دوبريه رأينا امرأة شابة في ملابس رثة ممزقة افترشت بلاط الإفريز وأسندت رأسها إلى الجدار، وهي في سبات عميق! وعلى صدرها يرقد رضيع قد أحاطته بذراعيها.. ووقفت آمال أمام الاثنين، ثم فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها ورقة مالية.. وترددت والتفتت إلي تقول:

– ولكن لو وضعت الفلوس في يدها يمكن حد يفوت ويشوفها ويسرقها منها وهي نايمة!

وجلست آمال القرفصاء أمام الشابة النائمة. ومدت يدها وتناولت الرضيع برفق من على صدرها، ثم مدت يدها بالورقة المالية ودستها في صدر المرأة، وهنا أفاقت الأم من نومها مذعورة فزعة، وحملقت في أسمهان ثم مدت يدها بلهفة تسترد رضيعها.

وقالت أسمهان:

– ما تخافيش.. ما تخافيش.. أنا خدته علشان أقدر أحط لك الفلوس في صدرك..

ومدت المرأة يدها إلى صدرها وأخرجت الورقة ونشرتها بين يديها وتطلعت فيها كأنها لا تفهم..

وأشك أنا كثيرًا أن هذه البائسة رأت عمرها ورقة مالية من هذه القيمة..

لقد كنت حسبت لحظة رأيت أسمهان تخرج من حقيبة يدها ورقة مالية مطوية أنها ستعطي المرأة جنيهًا، ولكنها أعطتها ورقة من فئة الخمسة جنيهات! ولعل هذا المبلغ كان كل ما تملكه أسمهان في ذلك المساء!

تريد أن تهرب وتعود إلى زوجها

وأمشي في مفكرة الجيب إلى أن أصل إلى يوم الأحد ٣ مارس ١٩٤٠ وأفك العبارات المقتضبة وأعود بالذاكرة إلى التفاصيل. كنت جالسًا وحدي أقرأ عندما دق جرس التليفون وكانت الساعة العاشرة تقريبًا وكانت أسمهان.. قالت:

– هل يمكنك أن تستضيفيني يومين أو ثلاثة؟

وظنت أنها تمزح وضحكت، وقالت هي: أن المسألة جد.. فهل يضايقك أن أنزل في ضيافتك يومين أو ثلاثة؟

قلت: أبدًا.. ولكن لماذا!؟

قالت: سأقص عليك السبب فيما بعد..

سألتها: وأين أنت الآن؟

قالت أنها تتكلم من دار حسنين باشا.. ثم أضافت:

– أنا بكلمك من غرفة المكتب، وأنا الآن وحدي، لأنه صعد إلى الطابق الأعلى، وهو لا يعرف إنني أكلمك الآن.

– على الرحب والسعة وسوف أعد لك حجرة، وأعددت لها حجرة الضيوف، وجلست أنتظر، وطال انتظاري حتى ظننت أن الأمر مزاح وأنها لن تحضر، ولكنها حضرت أخيرًا قبيل منتصف الليل..

وفتحت لها الباب، ومن نظرة واحدة إلى وجهها وعينيها أدركت أنها كانت تبكي! وتوجهت هي مباشرة إلى غرفة المائدة وتناولت قدحًا صبت فيه جرعة طيبة من الويسكي ثم عادت وجلست أمامي في مقعد كبير.. وسكت أنا وانتظرت حتى تبدأ هي الحديث.. وأخيرًا قالت أن حياتها مع أمها وشقيقها فؤاد أصبحت لا تطاق وأن فؤاد ضربها اليوم ضربًا موجعًا

وسجنها في غرفتها، أما لماذا ضربها فهذا كما وعدت في فصل سابق ما أوثر أن أمر به مر الكرام!

ولم ينقذها من سجنها هذا سوى تليفون من حسنين باشا الذي تكلم ليسأل عنها ويذكرها بموعدها معه هذا المساء، وأن فؤاد لما سألها عن هذا الموعد قالت أن حسنين باشا يحيى في داره حفلة هذا المساء وأنه دعاها لتغني في الحفلة.. وهنا فقط رضي فؤاد أن يخرجها من سجنها، وأصر على أن يوصلها بنفسه إلى دار حسنين باشا ليتأكد من أنها لم تكذب عليه!.. ثم قالت:

– ولقد قصصت على حسنين ما جرى، وكنت أبكي وقلت له أنني لن أعود إلى داري لأن فؤاد سوف يضربني من جديد، ولقد بكى حسنين لبكائي، وعرض عليّ أن أقيم في داره وأن يدعو السيدة شقيقته لتقيم معي في الدار قطعًا لألسنة السوء، ولكنيشكرته ورفضت إشفاقًا على منصبه الكبير من تقولات الناس وتخرصاتهم وأنت تعرف أن خصومه وحساده كثيرون.

وفي مفكرة الجيب بتاريخ الاثنين ٤ مارس:

لا تزال آمال عندي، ولا يزال أهلها يبحثون عنها، وقد كلمتني أمها اليوم بالتليفون لتسأل عنها فأنكرت علمي بأي شيء! .. ولقد قضت آمال يومها وهي في حالة خوف بل رعب شديد من أن يهتدي شقيقها

فؤاد إلى مقرها.. وكانت تغلق باب حجرتها عليها ولا تفتحه إلا إذا سمعت صوتي واطمأنت أن ليس هناك أحد سواي.

وفي المساء جلسنا نتحدث، وفي هذه الجلسة قصت علي كثيرًا مما كانت تلقاه وتقاسيه في حياتها العائلية. وأخيرًا قلت لها.. أن سر اختبائها عندي لا بد أن ينكشف فماذا هي تنوي أن تفعل؟ وقالت هي:

– سأعود إلى جبل الدروز وأقبل قدمي حسن "تقصد زوجها السابق حسن الأطرش"لكي يردني زوجة له.. فإذا رفض توسلت إليه أن يبقيني خادمة في داره!

وبكت وهي تقول: وهذا خير ألف مرة من هذه العيشة التي أنا فيها!

وأخيرًا اتفقنا على أن تسافر غدًا إلى الإسكندرية وتقيم عند صديقتها الممثلة إلهام حسن ريثما تدبر أمر سفرها إلى بيروت.. إما الباخرة وإما بالقطار عن طريق القنطرة وحيفا.. وأصبحنا يوم الثلاثاء، وأمضت آمال يومها.. مثل أمس في غرفتها وقد أقفلت عليها بابها بالمفتاح. وفي ستر من ظلمة المساء غادرت داري كي تسافر إلى الإسكندرية.

وقالت وهي تصافحني وتشكرني أنها سوف تكلمني غدًا –الأربعاء– بالتليفون الساعة الواحدة بعد الظهر لكي تطمئنني على أحوالها. ولما ودعتها ودعوت لها بالسلامة بكت!.. وتندت عيناي أنا بالدموع! ورأيتها

ساعتئذ –كما رأيتها أول مرة – شيئًا صغيرًا نحيلًا مسكينًا يبعث الرحمة في الصدور!

### فضيحة كبرى ولكن الله سلم

وفي منتصف الليل دق جرس التليفون وإذا شقيقها فؤاد الأطرش يسألني هل أعرف أين توجد شقيقته آمال لأنها اختفت منذ يومين.. وقلت له أنني لا أعرف! وفي الصباح كلمني بالتليفون المرحوم سليم زكي "حكمدار العاصمة اللواء سليم زكي باشا" وسألني نفس السؤال: أين أسمهان؟ ولما قلت له أنني لا أعرف، صاح بحدة:

– لا.. أنت تعرف هي فين والحكاية مش هزار!.. دي ممكن تبقى فضيحة كبيرة.. ولا أستطيع أن أقول لك أكثر من هذا بالتليفون!

ودعوته لمقابلتي في داري في منتصف الساعة الواحدة، وكنت أعرف أن آمال الأطرش صديقة لأسرة المرحوم اللواء سليم باشا زكي وأنه رحمه الله هو والسيدة زوجته كانا يعطفان عليها كثيرًا ويعاملانها كابنة لهما. وفي الموعد يحضر سليم زكي باشا ومعه الأميرالاي أحمد طلعت بك.

وقال يرحمه الله أن فؤاد الأطرش يبحث عن آمال منذ يومين وأنه جاءه أخيرًا يقول أنه – أي فؤاد – كان أوصلها بالسيارة إلى باب دار أحمد باشا حسنين ولما لم تعد ليلتها اسأل عنها حسنين باشا بالتليفون فأجابه أنها غادرت الدار ولما لم تعد عاد فؤاد وسأل حسنين أين آمال؟

وأجابه حسنين أنه لا يعرف أين هي.. ومضى سليم زكي باشا يقول:

– وأخيرًا جاءني فؤاد يقول.. إذا كانت أختي ماتت أو قتلت فعايز أعرف قبرها فين!.. وأنا وصلتها بنفسي لباب بيت حسنين باشا وأنا راح أخرج من هنا وأروح أقدم بلاغ للنائب العمومي أروي فيه الحكاية وأطلب منه التحقيق. وأن يبدأ التحقيق بسؤال معالي رئيس الديوان أحمد باشا حسنين!..

ثم قال سليم زكي باشا:

– ولقد أخذت فؤاد تارة بالرجاء وتارة بالتهديد حتى رضي أن ينتظر وألا يقدم بلاغه للنائب العمومي، وأنت "موجهًا حديثه إلي" تعرف أية فضيحة بل أية أزمة كبيرة قد يثيرها تقديم هذا البلاغ.. وحسنين باشا صديقك إلى آخره..

وقصصت عليهما: علي سليم زكي باشا، وأحمد طلعت بك، حكاية أسمهان منذ كلمتني بالتليفون في مساء الأحد إلى أن غادرت داري في مساء أمس الثلاثاء، وقلت أنها ستكلمني الآن – الساعة الواحدة – بالتليفون من الإسكندرية.

ولم يطل انتظارنا. ودق جرس التليفون، وكانت آمال.. وحييتها وسألتها عن حالها فقالت أنها منقبضة الصدر ولا تعرف بعد كيف تدبر أمر

سفرها إلى الشام.. قلت لها: هنا صديق يريد أن يحدثك.. وقبل أن تجيب أو تسألني من هو.. ناولت السماعة المرحوم سليم باشا زكي.

وتناوب هو وأحمد بك الحديث معها وهدأ من خوفها ورعبها من شقيقها فؤاد وأكدا لها أنه لن يجسر على الإساءة إليها.. ووعدها سليم زكي باشا بأنه والسيدة حرمه سوف يستقبلانها بنفسيهما في المحطة ويأخذانها معهما إلى دارهما حيث تنزل عندهما ضيفة معززة مكرمة إلى أن يتم صلحها مع شقيقها فؤاد. وهكذا كان..

وهكذا أنقذ سليم زكي باشا وطلعت بك الموقف، أو أنقذا رئيس ديوان فاروق من فضيحة لم يكن له يد فيها ولا كان مسئولًا عنها..

## حياتها العائلية المضطربة

### خطاب من أسمهان

وهذا خطاب واحد من كثير.. وكنت أحب ألا أشير إلى خطابات أسمهان وألا أنشر شيئًا عنها، ولكن بعض أقاربها أثار ضجة أثناء نشر هذه القصة واتهمني بالكذب والافتراء وزعم أن أسمهان كانت سعيدة في حياتها العائلية، إلى آخره.. ثم تحداني أن أقيم الدليل على صدق روايتي، ومن هنا رأيت نفسي مضطرًا إلى نشر هذا الخطاب، وقد جمعتها بعضها إلى بعض.. وأما الخطاب كله فها هي ذي صورته بالزنكوغراف، ولسوف يجد القارئ صعوبة في قراءة خط أسمهان –أو آمال– وهي نفسها تعترف برداءة خطها.. وها هي الفقرات التي نقلتها من الخطاب:

القدس في ٢١يونية ١٩١٤

عزيزي مُحَّد.. لم أتعود الكتابة لأحد، هذا عدا أن كتابتي رديئة.. وإنشائي أردأ.

ولكن هل لك بالله عليك أن تقول لي ماذا أنتظر من وراء وجودي بمصر بعد الذي رأيته وما تحملته من شقاء أثناء إقامتي فيها؟..

إنني بائسة يا مُحَّد وبائسة جدًا.. إنني لا أعلم ماذا أفعل فإني دائمًا امرأة بدون مستقبل وأنت الوحيد الذي أعتمد عليه في هذه الدنيا فلم أعد أعرف ولا أعترف أن لي أمًا ولي أخوات بعد الذي شفته منهم.

لقد أرسلت إلى فؤاد حين وصولي إلى هنا مبلغ ١٠٠ جنيها مصريا فلم يكتب لي بعدها ولا كلمة شكر فماذا أنا منتظرة منهم.. اكتب لي يا مُحَمَّد وإني بعد الآن لن أطلب منك أن تخبرني عن أي شيء والذي أطلبه منك فقط أن تكتب لي دائمًا وتخبرني عنك وعن كل شيء يهمني عنك وأنت تعرف ماذا أقصد فهل يا ترى سيسمح الزمان القاسي وأراك.

وفي ختام خطابها تقول:

وأبقى أمضي مرة ثانية "لأنني لم أوقع باسمي على خطابي الذي كنت أرسلته إليها" أرجو أن تعرف تقرأ خطي، سلامي إلى جمال "جمال جبر" وإني متكلة عليه يأخذ باله منك.

"آمال الأطرش"

قبلاتي إلى أمينة "السيدة أمينة البارودي" وإلى زينب هانم وإنني لم أنسهم أبدًا وصورة أمينة دائمًا أمامي..

وهذا قسم من خطاب أسمهان محفور بالزنكوغراف يحتوي المقطع الأول والمقطع الأخير.

الحكم عندها للعاطفة.. أما المادة فلا شيء!

كيف كانت تعيش!؟ من أين كانت تنفق؟.. قلت في فصل سابق أن آمال الأطرش يرحمها الله عرفت "الفقر والحاجة بل وذاقت ألم الجوع ومرارة

الحرمان في طفولتها ومستهل صباها.. كما عرفت فيما بعد – في سنة ١٩٤١ وما تلاها – سعة الرزق والترف والإسراف الذي ما بعده إسراف يوم كان الذهب يجري بين يديها. ولكنني أكتب اليوم عن أسمهان في عام ١٩٤٠ كيف كانت تعيش؟ ومن أين كانت تنفق؟.

لقد كانت تبدو دائمًا أنيقة رشيقة نظيفة، ومع ذلك فإنها لم تكن تملك يومئذ أكثر من ثوبين أو ثلاثة أثواب، بينما كانت الحلي التي كانت تتزين بها من زجاج، أو حليها الذهبية من النحاس! وهي، كما سبق أن قلت، كانت تحب كل لون وكل معنى من ألوان ومعاني الجمال، الثوب الجميل والحذاء الجميل ومعطف الفرو الثمين والزهور والعطور إلى آخره

وما كان أسهل عليها في تلك الأيام أن تحقق لنفسها ما تشتهي وأن تشبع حبها للترف ولزينة الدنيا ومتاعها.. فكيف رضيت إذن بالثوبين أو الثلاثة وبسوار النحاس وخاتم الزجاج؟

كبرياؤها وأنفتها الطبيعية التي لا زيف فيها ولا تقليد، عمرها ما رضيت أن تحط من كبريائها من أجل المال، كانت تحب المال نعم، لكي تنفقه، ولكن كبرياءها كانت دائمًا فوق المال وقبل المال! كانت أسمهان في حياتها تسير حينًا وتندفع أحيانًا، ولكن دائمًا بحكم العاطفة!..

كانت هوائية نعم، كثيرة النزوات، سريعة التقلب،ولكن كل هوى وكل نزوة كان مصدرهما عاطفة ما، أو إحساسًا ما.. أما المادة وإغراء المادة فلم يكن لهما عند أسمهان تقدير أو حساب.

ومن هنا رضيت – وهي القادرة بجمال صوتها وجمالها وشبابها على أن تنال من دنياها ما تشتهي – رضيت بحياتها التي وصفت، وحرمانها لأنها كانت تعلم أن التي تريد أن تنزل إلى السوق تبتاع منها كل ما تشتهي لا بد لها أولًا أن تنزل إلى "سوق" أخرى ليس فيها للعاطفة وزن ولا تقدير!.. سوق المذلة أو سوق الهوى والهوان؟ ولكن كبرياءها كان عندها فوق كل اعتبار.

وكانت أسمهان يومئذ –عام ١٩٤٠–قد اتفقت مع محطة الإذاعة على أن تذيع منها مرة واحدة في كل شهر في مقابل أجر لا يزيد فيما أذكر على ١٤ جنيهًا زادوا فيما بعد ١٧ جنيهًا، هي وأفراد التخت. وكان نصيبها وحدها من هذا الأجر عشرة جنيهات أو نحو ذلك. وكانت تسجل في الوقت نفسه – وكل بضعة شهور – أسطوانة أو أسطوانتين لحساب شركة بيضافون. وكان أحد أصحاب الشركة المرحوم الدكتور بيضا يعطف كثيرًا عليها كما أسلفت ويقرضها على الحساب من وقت إلى آخر ما تحتاج إليه من المال. وكانت رحمها الله تدعي أحيانًا لإحياء حفلات الزفاف في القاهرة أو في الأرياف وتنال من كل حفلة ما بين ثلاثين وأربعين جنيهًا.. ولكنها كانت تنفر بل كانت تمقت هذه الحفلات لأنها –كما سبق أن قلت– كانت تكره وتأنف أن تقف وتغني أمام سيدات لسن أعلى مقامًا منها ولا خيرًا منها في شيء!

## الجو الذي كانت تعيش فيه!

كانت تحب الغناء، وشأن الفنانة الأصيلة كانت تحب دائمًا أن تغني، ولكن تغني لمزاجها هي، وبرغبتها هي، وأمام من تأنس لهم وترتاح. أما الغناء بالأجر، وأمام من تعرف ومن لا تعرف، فهذا هو الذي كانت تضيق به وتثور من أجله! ولكنها كانت مضطرة لأن تغني لكي تعول أسرتها: أمها وابنتها كاميليا "من زوجها حسن الأطرش".

وكان الأستاذ فريد الأطرش يساهم في النفقات، ولكن النصيب الأكبر من هذه النفقات كان يقع دائمًا على عاتق أسمهان. قالت لي مرة يرحمها الله في لحظة ضيق طفرت فيها الدموع من عينيها:

–إن أهلي لا يقولون لي صباح الخير إلا بالثمن.. صباح الخير..عايزينالنهارده خمسة جنيه!.. صباح الخير.. لا تنسي أن تشتري للبيت كذا وكيت!.. صباح الخير.. بكره لازم ندفع قسط المقاول عشرة جنيهات!

ومن هنا كانت تقبل أن تغني في هذه الحفلات التي تكرهها، وأن تسافر إلى كفر الشيخ وإلى المنيا وزفتى وأسيوط، ولو كان أمرها بيدها أو لو كان عيشها مقصورًا على نفسها لأرضت كبرياءها ورضيت بالقليل وعاشت على القليل، ولكن كانت هناك أسرتها، وطلبات الأسرة!.. بل وطلبات القادرين على أن يعملوا ويعولوا أنفسهم ولكنهم لا يعملون!

هذه ناحية من نواحي حياة أسمهان الداخلية أو حياتها العائلية، جلوتها في شيء من الصراحة أو الصرامة لكي يفهم من له قلب لماذا كانت أسمهان تهرب أحيانًا أو تلجأ أحيانًا إلى الحياة الخارجية تلتمس فيها بعض التسلية وبعض العزاء

وقد يجدر بي وأنا بصدد الحديث عن هذا الجانب من حياتهاأو هذه الناحية من أخلاقها أن أروي هنا حادثة أو حادثتين. حدث ذات يوم أن جاءني خادم سيدة قريبة لها – وأغفل عامدًا ذكر اسمها ودرجة قرابتها لأسمهان! – واسم الخادم المذكور "حكمت" جاءني موفدًا من قبل سيدته يطلب باسمها خمسة عشر جنيهًا لأنها في شدة الحاجة للمبلغ المذكور، وناولته المبلغ ولم أقل شيئًا عن هذا لأسمهان.ولكن كم كانت دهشتي – وسخطي – في اليوم التالي حين كلمتني السيدة المذكورة بالتليفون تقول أن خادمها حكمت أخطأ في رقم المبلغ المطلوب، لأنها محتاجة إلى ثلاثين جنيهًا إلا خمسة عشر! وقلت لها – وأنا أحيانًا أضع حياتي في جيبي وأقول ما أعتقدأنه حق! قلت لها:

– ما كنت أصدقك لو أنك طلبت الآن "٢٥"جنيهًا، لأن خادمك قد يخطئ بين رقمين متشابهين مثل "٢٥"و"١٥"ولكن كيف يخطئ بين "٣٠"و"١٥"؟

وأقفلت في وجهها التليفون! ويظهر أن حضرتها – لما رأت أنني أرسلت إليها على الفور ما طلبت – عادت وندمت لأنها لم تطلب أكثر

مما طلبت! ورويت ما حدث لأسمهان، واصفر وجهها يرحمها الله. وأطرقت برأسها خجلًا، وأخيرًا قالت: عدني ألا تفعل شيئًا من هذا بعد الآن، وإلا فتحت على نفسك بابا يصعب عليك إغلاقه فيما بعد.

ثم اقرءوا هذه الحكاية: في أوائل شهر مايو ١٩٤١مرضت أسمهان وعادها الطبيب ووصف لها الدواء، ولكنها لم تكن تملك من الدواء، وكان تعيش يومئذ وحدها في مسكنها بعمارة إيموبيليا. وأحس خادمها وخادمتها بأن سيدتهما لا تملك ثمن الدواء الذي وصفه الطبيب فتعاون الاثنان على شراء كل ما يلزمها إلى أن تم لها الشفاء، وبعد شفائها تقابلنا. وكان خادمها الأمين أسر إلي بما حدث واستدرجتها في الحديث إلى أن اعترفت بما كان وأنها لم تكن تملك ثمن الدواء. وعاتبتها وسألتها لماذا لم تلجأ إلى صداقتي فقالت:

– تكفيني صداقتك. ثم أنا لم اعتد أن أمد يدي لأحد بالسؤال!

وفي مرة أخرى قطع النور عن مسكنها لأنها لم تدفع "فاتورة" النور وباتت ليلتها في الظلام وجاءني خادمها في الصباح

قلت له: ولكن سيدتك كانت تكلمني الآن ولم تذكر لي شيئًا من هذا.

وقال الرجل: حضرتك تعرفها كويس، وأنه يستحيل عليها أن تطلب منك أو من أي أحد فلوس! وهذا صحيح. عمرها ما مدت يدها ولا

فتحت فمها بطلب مال. بل على العكس كانت تتظاهر دائمًا. إنها ليست محتاجة لشيء وأن عندها ما يكفيها! هذه حكاية! وتلك حكاية!.. أو هذه أخلاقها!.. وتلك أخلاق السيدة قريبتها أو أقرب الناس إليها! واحكموا في أي جو عائلي كانت تعيش المسكينة أسمهان.

وأمشي سريعًا في مفكرة الجيب وفي الحوادث لأنني –كما قلت– أود أن أختار منها وأكتفي بكل ما يجلو شخصية أسمهان وأخلاق أسمهان أو بما كان له أثر واضح في حياتها يرحمها الله. أمشي سريعًا إلى أن أصل إلى صيف عام ١٩٤٠. ودخلت إيطاليا الحرب، وبدأت الغارات الجوية على مدينة الإسكندرية، ولأول مرة عرف مصيف رأس البر الصغير معنى الإقبال ومعنى الزحام فقد أثر الذين اعتادوا قضاء الصيف في رمل الإسكندرية أن يمضوه في مصيف رأس البر في أمان أو ما يشبه الأمان. وكان من هؤلاء آمال، وكانت تقيم في فندق كورنيل بينما كنت أقيم في عشة على شاطئ البحر، وكان طبيعيًا أن ألقاها وتلقاني في كل يوم. وخصوصًا عندما كان يزورني صديقات وأصدقاء لها مثل الأستاذ محمد عبد الوهاب والأستاذ أحمد سالم وزوجته "يومئذ" أمينة البارودي وكانت أعز صديقة لآمال! كنا نتناول الغذاء معًا والعشاء معًا ونمضي معًا يومنا وسهرتنا. وكم مرة جلسنا على رمال الشاطئ في نور القمر ما بين موسيقى وغناء عبد الوهاب وأسمهان. وجاءها أحد متعهدي الحفلات يعرض عليها أن يقيم حفلة في رأس البر تغني فيها. وقبلت هي لأنها كانت محتاجة دائمًا لأن تعمل بحكم ظروفها التي أسلفت فيما سبق من الحديث.. وأقام الرجل

سرادقا عند لسان رأس البر، وأقبل الجمهور على الحفلة. ووقفت أسمهان تغني – من غير ميكرفون – ومن ورائها وحولها هدر الأمواج..

وصاح أحد السامعين ، وكان يجلس في صحبة من رفاقه، وكانوا مثله سكارى:

– مش سامعين.. ارفعي صوتك شوية!

وأخيرًا نهض وهو يصيح في أصحابه بصوت عال:

– قوموا يا أولاد بلاش قرف! ياله بنا نروح نسمع في الراديو حاجة لأم كلثوم ولا ليلى مراد!

وانسحب الجميع! وفي تلك الليلة بكت أسمهان لا للإهانة التي لحقتها وإنما بكت حسرة وحزنًا لأن حكم العيش يرغمها على الغناء أمام مثل هذا الجمهور!

**طريق الموت!**

وذات يوم في أوائل شهر سبتمبر كنا ذاهبين بالسيارة من القاهرة إلى رأس البر هي وصديقنا جمال جبر وأنا، واجتازت السيارة كوبري المنصورة وانحرفت إلى اليمين في طريقها إلى دمياط ورأس البر، تاركة بلدة طلخا وراءها إلى اليسار. وعلى مسافة كيلو مترين أو ثلاثة من بداية هذا الطريق

الزراعي، وربما في نفس المكان الذي انقلبت فيه سيارتها في الترعة.. ووقعت الفاجعة التي لقيت فيها منيتها بعد ذلك بنحو أربع سنوات.

كانت هناك آلة بخارية للري، وكان صوت الآلة يقرع السمع. دق متواصل منتظم مطرد! وكانت آمال في تلك اللحظة تغني! كانت تغني قصيدة عن الموت والقبر والفناء. هي قصيدة أبي العلاء المعري التي مطلعها:

"غير مجد في ملتي واعتقادي   نوح باك ولا ترنم شادي"

وكانت محطة الإذاعة قد اختارت هذه القصيدة وعهدت إلى الموسيقار الأستاذ زكريا أحمد بتلحينها وإلى أسمهان بغنائها. ولقد غنتها فعلًا وأذكر أن المرحوم الدكتور مبارك كتب يومئذ يقول أن عمره ما سمع غناء أشد كآبة من هذا الغناء ولا صوتًا أعمق حزنًا من صوت أسمهان!

وكانت آمال قد تلقت اللحن يوم سفرنا إلى رأس البر من المرحوم زكريا أحمد وراحت – ونحن في السيارة في طريقنا إلى رأس البر – راحت تحفظه و"تتمرن" على غناء القصيدة قبل تسجيلها على شريط لمحطة الإذاعة..

وكانت في يدها ورقة مكتوبة فيها القصيدة، وكانت تلقي نظرها عليها من وقت لآخر كلما خانتها الذاكرة أو نسيت كلمة أو مطلع بيت. كانت تغني والسيارة في طريقها. ووصلت السيارة إلى مقربة من الآلة

البخارية للري،وكانت آمال تغني في تلك اللحظة البيت الذي يقول فيه أبو العلاء: صاح.. هذه قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد

هذا وصوت الآلة البخارية يقترب ويعلو، ويدق السمع دقًا منتظمًا مطردًا، وفجأة تقلصت عضلات وجه آمال وغشى صفاء عينيها رعب مباغت! وتركت الورقة تقع من يدها.. وأخفت وجهها بيده، ودهشت، وسألتها: ماذا جرى؟ ولم تجب!.. ومرت لحظات، وكانت السيارة قد ابتعدت بنا، وغاب عنا صوت آلة الري ودقاتها. وأخيرًا رفعت يديها عن وجهها وقالت:

– لقد خيل إلي أنها دقات دفوف الجنازة. وأنا ما سمعت هذا الدق مرة إلا انتابني رعب شديد. وفي السويداء "عاصمة جبل الدروز" بالقرب من قصر الأمير "تقصد زوجها حسن الأطرش" آلة للطحن. وكنت أتحاشى المرور بالقرب منها حتى لا أسمع صوت دقاتها لأنه كما قلت يذكرني بقرع دفوف الجنازة!

هذه واقعة أذكرها جيدًا وأرويها كما وقعت. فهل كانت المسكينة أحست في تلك اللحظة أنها تجتاز طريق الموت!.. نفس الطريق الذي سوف تلقى فيه حتفها بعد أربع سنوات؟.. من يدري! ومن ذا الذي يستطيع أن يلم بأسرار الإلهام وإحساس النفس وأنصالها بالمعلوم والمجهول!

**خمسة جنيهات فقط من ٣٠٠!!**

وجاءتني ذات يوم في رأس البر فرحة متهللة الوجه .. لقد كلمها بالتليفون من القاهرة موظف بإحدى الهيئات السياسية الشرقية وأبلغها أنه تلقى خطابًا من سمو الأمير "فلان" ومعه شيك لها بمبلغ ثلاثمائة جنيها وأن سمو الأمير بعث إليها بتحياته وبالمبلغ المذكور!

وكانت آمال حدثتني في مناسبات شتى عن الأمير العربي المذكور وهو من أكبر أمراء العرب شأنًا ومقامًا – وهو غير الأمير فواز الشعلان الذي جاء ذكره في فصل سابق – وكيف أنها غنت أمامه مرة في فندق هليوبوليس بالاس بمصر الجديدة فطرب من غنائها كثيرًا. وكيف أنه أهداها قبل سفره سيارة "لنكولن"، وهي السيارة التي استولى عليها شقيقها فؤادولكن لماذا يرسل إليها اليوم ثلاثمائة جنيها؟.. هذا ما حارت في فهمه يومئذ أسمهان، ولم تعرف سره وسببه إلا بعد عودتها إلى القاهرة.

فرحت رحمها الله يومئذ بهذه البشرى، وقالت أن الثلاثمائة جنيها جاءت من السماء!.. وأنها سوف تدفع منها ديونها هنا وهناك، وتشتري كذا وتبتاع كيت! وأسرعت بالسفر إلى القاهرة لكي تتناول الشيك وتقبض المبلغ المذكور!

ثم عادت إلى رأس البر بعد يومين اثنين.. حزينة واجمة! وقالت لي أنها ذهبت فور وصولها إلى القاهرة إلى الهيئة السياسية الشرقية التي أشرت إليها وقابلت الموظف الذي كان كلمها في رأس البر بالتليفون وتناولت منه الشيك ورجته أن يبلغ شكرها لسمو الأميرقالت:

–وذهبت إلى البيت لكي استبدل ثوبي وأذهب إلى البنك وأقبض المبلغ.. ووجدت شقيقي فؤاد في انتظاري! وأخبرته بسلامة نية عن الشيك فقال أنه يحسن بي أن أحوله باسمه وأن يذهب هو لصرف القيمة من البنك ثم يعود إلي.. ووافيته ولم أجسر طبعًا على أن أرفض، ولكنه ذهب ولم يعد.. وأخيرًا ذهبت أبحث عنه إلى أن وجدته.. ولما طلبت منه المبلغ قال أنه أحق بالمبلغ مني لأنه هو الذي كتب لسمو الأمير المذكور يشكو له الحالة ويطلب العون!.. ثم اخرج من محفظته ورقة من فئة خمسة جنيهات وضعها أمامي وهو يقول: "آدي خمسة جنيهات لا تصرفيها أعطيك غيرها"

وهكذا كل ما نالته من الثلاثمائة جنيها كان خمسة جنيهات. وتاريخ هذه الحادثة كما دونته في مفكرة الجيب هو الثلاثاء **٣٠** يوليو **١٩٤٠**. وكانت آمال الأطرش كما قلت طيبة القلب جدًا عفيفة اللفظ واللسان، ولكنها لم تكن تسكت على إهانة، أو تقبل من أحد أن يجرح كبرياءها أو كرامتها. ذات يوم في رأس البر – وكنا نتحدث في مسألة ما – انقلب الحديث إلى مناقشة حادة ثم مشادة عاصفة. وأغلظت لها في القول، ولعله بدرت مني ألفاظ جارحة، أو عدتها هي جارحة وانتفضت واقفة.. ثم مشت إلى الباب وأغلقته وأسندت ظهرها إليه حتى لا أخرج.. أي لكي ترغمني على البقاء وسماع ما كانت تريد أن تقوله لي، ثم سألتني بسخرية:

–تقدر حضرتك تقولي أنت تبقى مين في البلد؟

وأجبتها بنفس اللهجة:

– ولا حاجة!

– وتبقى ابن مين في البلد؟

– ولا حد!

– أما أنا فآمال الأطرش وأبي فهد الأطرش وعمي سلطان باشا الأطرش وزوجي الأمير حسن الأطرش.. وتقوم أنت ياللي لا هنا ولا هناك تشتمني!

قلت لها يرحمها الله وقد غلبني الضحك:

– جوزك الأمير ده لا يزيد مقامه عندنا هنا في مصر على مقام مشايخ الحارات أو على الأكثر مشايخ البلاد!

وغلبها البكاء وفاضت دموعها.. يرحمها الله. ما كان أسرع أن تغضب. وما كان أسهل أن تصفح وترضى! ولكنها كانت إذا غضبت أو أرهقها اليأس تداعت أعصابها الرقيقة المرهفة واندفعت في ثورة الغضب أو في ظلمة اليأس إلى أبعد حد.

سألت عنها بالتليفون ذات مساء – وكانت قد عادت إلى القاهرة من مصيف رأس البر – فأجابتني خادمتها واسمها على ما أذكر فاطمة أو فايقة وقالت أن سيدتها تستريح في حجرتها فهل تناديها؟

قلت: كلا بل دعيها تستريح..

وسألتني الخادمة: وأين تجدك سيدتي إذا أرادت أن تكلمك؟

قلت: أنا ذاهب الآن إلى الكيتكات.

وذهبت إلى ملهى الكيتكات، وجلست مع زميل – ولعله الأستاذ الفاضل محمود كامل المحامي – وإن هي إلا ساعة أو بعض ساعة حتى استدعيت إلى التليفون.

### أسمهان تحاول الانتحار!!

وتناولت السماعة وإذا بصوت خادمة أسمهان وهي تصيح:

– ألحقني يا سيدى.. ست آمال انتحرت!

وأسرعت أعدو خارج الملهى، ووثبت إلى تاكسي، ولحسن الحظ كانت أسمهان تسكن يومئذ في شقة بإحدى عمارات الزمالك أي أن مسكنها كان قريبًا من ملهى الكيتكات.. ووجدت الخادمة تنتظرني أمام الباب..

ولم يكن في المسكن ساعتئذ سوى آمال وخادمتها، أي أن شقيقيها لم يكونا موجودين وأما السيدة والدتها فكانت تقيم في ذلك الوقت في دار صغيرة شيدتها لنفسها في شارع الأهرام. ولكن ماذا يهم!! لو أنني كنت وجدت جميع أفراد أسرتها لما ترددت مع ذلك في الدخول! ودخلت عليها حجرة نومها فإذا بها في فراشها وقد جمعت ركبتها إلى صدرها كأنها تغالب ألمًا موجعًا وقد علا وجهها اصفرار شديد..

وقالت الخادمة وهو تشير إلى أنبوبة أسبرين فارغة أن سيدتها بلعت كل ما كان في الأنبوبة، وكانت جديدة أي كان فيها عشرون قرص أسبرين! وهدأ روعي قليلًا لأن الأسبرين ليس سريع المفعول. وقلت لآمال: قومي! هزت رأسها أن لا!

قلت: إذن سأحملك بالقوة،وتقدمت منها فعلًا وحملتها كما هي وخرجت بها إلى التاكسي الذي كان لا يزال ينتظر أمام الباب. ولحقت بي الخادمة وناولتني معطفًا وضعته على كتفي أسمهان لأنها كانت بملابس النوم. وصحت في السائق أن ينطلق بأقصى سرعة إلى الإسعاف! وكانت هي طول الطريق مغمضة العينين. وقد زاد اصفرار وجهها وبدأ مفعول تخدير الأسبرين.

وأعترف أنني خفت في تلك اللحظة أن أجس نبضها أو أصغي إلى دقات قلبها.. خفت أن يخونني سمعي.. أو يصدق وأجد أن قلبها قد توقف، أو أن نبضها قد سكت! وحملتها أنا وسائق التاكسي ودخلنا بها

مركز جمعية الإسعاف، وسألني الموظف الذي كانت عليه سهرة الليل فقلت أن السيدة بلعت خطأ كمية من الأسبرين.. سألني: هل أبلغتم البوليس؟ قلت: كلا.. والمهم الآن إنقاذها.. وبدا لي أنه من الموظفين عبيد "الروتين" فسألته: هل هناك طبيب؟ قال: نعم..

وحضر الطبيب على الفور، شكر الله فضله، وأدرك الحالة من نظرة وكلمة، وأجرى لها في الحال عملية غسل المعدة. ولما انتهى كل شيء قال الطبيب أن واجبه يفرض عليه في مثل هذه الحالات – التي تشبه محاولات الانتحار! – أن يبلغ البوليس وأن يرسل المريضة إلى القصر العيني لكي تمضي ليلتها هناك ولكنه يقبل كلمتي ويكتفي بها. وشكرته بحرارة.. وقد ظننت أن الإجراءات قد انتهت!

ولكن الطبيب تناول الدفتر أو سجل الحالات وقيد فيه اسمي ثم التفت إلي يسألني عن اسم السيدة، ولحسن الحظ لم يكن الطبيب قد عرف أسمهان. قال: واسم الست إيه؟.. قلت بدون تردد ولا وعي: آمال.. قال وهو يكتب: آمال إيه؟ وهنا أفقت وأدركت الخطر! خطر الفضيحة . إذا ذاع غدًا أن آمال الأطرش حاولت الانتحار. ولم يستغرق تفكيري ثانية واحدة. قلت: آمال حسين.. ولا أعرف لماذا اخترت لقب حسين، ربما لأن شقيقي اسمه حسين فكان اسمه أول اسم وثب إلى خاطري! كذلك لم أكن أعرف يومئذ أن هناك مطربة أو سوف تكون هناك مطربة اسمها آمال حسين! وشكرت الطبيب ومساعده مرة أخرى، وخرجنا – وهي تستند إلى ذراعي – وأوصلتها إلى مسكنها. ولحسن الحظ وجدنا الدار كما تركناها

أي لم نجد سوى الخادمة. وهكذا ظل هذا السر مكتومًا حتى اليوم فلم يسمع به أحد ولم يعرف أحد لماذا حاولت آمال الانتحار في مساء السبت ٢١ سبتمبر سنة ١٩٤١.

ولعل كل ما بقي من هذه الحالة هو ما دون في سجل مركز جمعية الإسعاف تحت التاريخ المذكور وهو أن فلانًا –أنا– أحضر سيدة اسمها آمال حسين وأبلغ أنها بلعت بطريق الخطأ كمية كبيرة من أقراص الأسبرين!

ولو أنني رويت للقراء القصة كما روتها هي يومئذ يرحمها الله.. قصة انتحارها لعرف الذين يتشدقون بحديث الفضيلة وبآداب اللياقة وما يجوز نشره وما لا يجوز.. لعرف هؤلاء أية مأساة كانت تعيش فيها أسمهان صباح مساء!.. وأي عواصف كانت تهز حياتها هز أطراف النخيل، وأي الهموم كانت تجثم فوق صدرها وقلبها..

نعم.. لو أنني رويت القصة كما سمعتها منها في ذلك المساء لأدرك كل ذي قلب أن هذه الفتاة لا يمكن أن تلام!.. وأنه حرام أي حرام – وعيشها هذا وحياتها كما وصفت – حرام أن تؤخذ بالنقد الشديد أو بالحساب العسير. والذي يستطيع أن يفهم.. يستطيع أن يعفو ويغفر!

قلت في فصل سابق أن إدارة الجوازات والجنسية – أو بعبارة أدق مديرها الحازم الأستاذ زكي سعد – كانت تنظر إلى المطربة أسمهان نظرة غير رحيمة. كانت الإدارة المذكورة ترخص لمطربات وراقصات أجنبيات – أجنبيات بكل معنى الكلمة – بالبقاء في مصر والعمل في مسارحها

وأنديتها الليلية.. بل وتسمح لراقصة أوروبية – بلغارية الجنسية – بالزواج من وجيه مصري كبير والحصول على الجنسية المصرية، ولكن نفس الإدارة كانت تضع العقبات في طريق أسمهان، ثم ترفض الموافقة على زواجها بالمخرج الأستاذ بدرخان كما سبق أن ذكرت، ولعل السبب في ذلك هو "اللغط" الذي كان يحيط بأسمهان.. وكثرة ما كان يتردد حولها من قال وقيل كان أكثره كذبًا أو مبالغًا فيه..

وكانت آمال قد تلقت في شهر أغسطس أثناء إقامتها في مصيف رأس البر خطابًا من قلم الجوازات بوزارة الداخلية فحواه أن المدة المرخص لها بإقامتها في مصر قد أوشكت أن تنتهي، وأنه مطلوب منها أن تمر في يوم كذا الساعة كذا بقلم الجوازات لعمل اللازم.. ولكنها –كعادتها – أهملت ولم تذهب. وما كان أكثر إهمالها في المسائل الخطيرة أو التي تمس حياتها في الصميم.

ومع ذلك – وأقولها إنصافًا لقلم الجوازات – فإن وزارة الداخلية لم تحرك ساكنًا ضد أسمهان إلا في شهر ديسمبر، وفي يوم الأربعاء ٢٠ ديسمبر ١٩٤٠ – وبينما كنت أتناول الغداء – دخلت على آمال وهي تبكي قالت أن وزارة الداخلية طلبتها في الصباح بالتليفون. وإنها لبت الدعوة وذهبت إلى مكتب الأميرالايمصطفى ثابت مدير قلم الجوازات الذي أبلغها أن مدة إقامتها في مصر قد انتهت وأنه يجب عليها أن تغادر الأراضي المصرية في ظرف أسبوع؟!

ولم تصدق هي الخبر لأنه لم يسبق أن وجه إليها مثل هذا الطلب أو هذا الإنذار. وظنت أن الأمر مزاحا فقالت بابتسامة:

– وإذا لم أخرج في ظرف أسبوع؟

قال مدير الجوازات بلهجة أسف ولكن الجد في عينيه:

– في هذه الحالة يخرجك رجال البوليس بالقوة فيركبوك القطار ويشيعونك إلى الحدود!

ولما عرفت أن الأمر جد راحت تقول لمصطفى ثابت كيف ولماذا وما هي الأسباب؟.. وأنها أمضت من حياتها في مصر أكثر مما أمضت في وطنها سوريا أو في لبنان؟.

وعاد مدير الجوازات يبدي أسفه ولكن الأوامر هي الأوامر. سألته: "أليس ممكنًا أن يعاد النظر في هذا الأمر؟".. وأجابها أن الأمر صدر فعلًا وأمضاه فعلًا – لا زكي سعد كما كانت تظن – بل نفس دولة رئيس الوزراء ووزير الداخلية الذي هو في الوقت نفسه الحاكم العسكري. وأنه يود لو استطاع أصدره وأمضاه! خدمتها في شيء ولكنه لا يستطيع مراجعة دولة الوزير في أمر أصدره وأمضاه!

ثم مضى المدير يخفف أو يهون عليها ويقول أن لا فائدة من مراجعة الوزير وأنه يحسن بها أن تطيع الأمر وتغادر مصر.. ولعلها تستطيع بعد بضعة شهور أن تحصل على إذن بالعودة إلى مصر، إلى آخره.. إلى آخره.

هذا ما قصته علي وهي تبكي.. قلت: وما العمل؟.. قالت: تكلم حسين سري.. هو الذي أمضى الأمر وهو وحده الذي يمكنه أن يلغيه. قلت: ولكنني لا أعرفه! وكان صاحب الدولة حسين سري باشا قد تولى منذ أسابيع قليلة رئاسة الوزارة ووزارة الداخلية بعد وفاة المغفور له حسين صبري باشا، ولم أكن حقيقة قد تشرفت بعد بمعرفته، حتى أنني كتبت يومئذ مقالًا عنه عنوانه "بقلم من لا يعرفه"، ولكن شقيقه الدكتور أحمد سري صديق لي، وقمت إلى التليفون وكلمت الدكتور. وسألني: هل المسألة تهمك؟.. قلت: تهمني جدًا. قال: إذن سأذهب عقب الانتهاء من تناول الغداء مباشرة إلى حسين باشا وأكلمه في الأمر.

وشكرته، ولقد وفى بوعده، وتكلم مع دولة شقيقة في الموضوع، وعدت إلى التليفون وكلمت حمدي باشا محبوب وكان يومئذ وكيل وزارة الداخلية للأمن العام ورويت له القصة ورجوته أن تعيد وزارة الداخلية النظر في أمر خروج أسمهان من مصر. وقال حمدي باشا:

– ولكن المسألة خرجت من يدي، فلماذا لا تكلم أنت نفسك دولة الرئيس؟

– ولكنني لا أعرفه ولا هو يعرفني.

وسكت حمدي باشا محبوب لحظة ثم سألني نفس السؤال:

– وهل المسألة تهمك جدًا؟

– نعم تهمني جدًا.

– هل تأذن لي أن أقول هذا لدولة الباشا وأن يكون كلامي معه باسمك أنت؟

– نعم.

والتفت أنا إلى آمال أطيب خاطرها وأهدئ من روعها وأطلب منها أن ترجو خيرًا! ولم يكن في إمكاني ساعتئذ أن أفعل لها أكثر مما فعلت. وفي صباح اليوم التالي كلمني بالتليفون حمدي محبوب باشا يستدعيني لمقابلته في مكتبه، وقال سعادته وهو يرد على تحيتي أنه استدعاني بناء على طلب دولة حسين سري باشا الذي يريد مقابلتي واستقبلني دولته بالتحية الجافة التي يتكلفها مع كل من يلقاه والابتسامة الساخرة التي يصطنعها يرحمه الله ويخفي وراءها نفسًا طيبة.

ثم أشار بيده لوكيل وزارته أن ينصرف ويتركنا، وقال دولته:

– قرأت لك مقالًا بقلم "من لا يعرف حسين سري" ولهذا رأيت أن أقابلك اليوم لكي نعرف بعضنا!

وتبسط دولته معي في الحديث عن الحرب والسياسة الداخلية وورق الصحف إلى آخره.. إلى آخره..إلا أسمهان! وإلا المسألة التي كنت وسطت فيها حمدي باشا محبوب! وأخيرًا مد دولته يده يصافحني ويقول بلهجته الصارمة المعروفة:

–أما حكاية أسمهان دي فليست من اختصاصك!.. ولهذا سوف أتكلم فيها مع صاحب الاختصاص وهو وكيل الوزارة نهارك سعيد يا أخي!

وألغى دولته في نفس اليوم الأمر الذي سبق أن أصدره وأمضاه بخروج أسمهان من مصر في ظرف أسبوع!

وكتبت أنا يومها الخميس ٢٩ ديسمبر في مفكرة الجيب:

"قابلت حمدي باشا محبوب ثم حسين سري باشا بناء على طلبه. أعتقد أن حكاية آمال سويت وإن كنت أعتقد أن سفرها كان خيرًا لها ولي.. سافرت آمال بعد الظهر إلى المنصورة لتحيي حفلة هناك وكلمتني بالتليفون ٧ مساء ثم بعد انتهاء الحفلة كلمتني مرة ثانية الساعة الواحدة صباحا"

وقد يسأل القارئ لماذا لجأت إلى أسمهان ولم تلجأ إلى بعض من كانت تعرف من الأمراء والوزراء والكبراء؟

لأنها كانت لا تثق بصداقة أحد منهم، ولا تؤمن بأن أحدًا منهم يمنحها عطفه أو وده خالصًا.

كانت تعتقد أن هؤلاء الكبراء والعظماء لا يعرفونها ولا يرحبون ويحتفون بها إلا لأنها جميلة حلوة المجلس والحديث ولأنها فوق هذا تحسن الغناء، وأنهم قد يعرضون عنها أو يتبرمون بها إذا هي لجأت إليهم في ساعة الشدة والحرج.. ثم كان هناك كبرياؤها الذي يأبى عليها أن تعرض نفسها

السماع كلمة "لا"، ومن هنا لجأت إلي لأنها –كما سبق أن قلت– كانت تثق في.. والثقة –كما أعتقد اليوم –كانت العاطفة أو الإحساس الصادق الوحيد الذي كانت يرحمها الله تكنه لي في صدرها من غير تحفظ ولا قيد.

**زواجها وطلاقها من بدرخان**

في تلك الفترة أي في شتاء ١٩٤٠– ١٩٤١ بدأ صيت المطربة أسمهان ينتشر. فكانت قد بدأت تذيع من محطة الإذاعة، ومن هنا بدأ الجمهور يعرفها ويعجب بصوتها الحنون الرقيق. وبدأ متعهدو الحفلات يقبلون عليها، كما أن بعض أصحاب الأفراح بدأ يدعوها لإحياء حفلات الزفاف. وكانت تنقلاتها في تلك الفترة في عواصم ومدن الأرياف فيومًا بالمنصورة ويومًا بكفر الشيخ وآخر بالمحلة الكبرى..

وكانت هذه الحفلات والرحلات ترهقها وتضنيها خصوصًا أنها كانت في ذلك الوقت تقوم بدورها غناء وتمثيلًا في أول فيلم لها وهو "انتصار الشباب"، ولو أن الأمر بيدها وحدها لرفضت هذه الحفلات فقد كانت رحمها الله تضيق صبرًا وصدرًا بالغناء في الحفلات العامة، بل عمرها ما غنت في حفلة عامة واحدة بنفس الحرارة التي كانت تغني بها في الحفلات الخاصة أي الحفلات التي لا تشهدها سوى الأقلية المختارة هي الصديقات والأصدقاء.

هنا كانت تغني أسمهان من قلبها بل وتذيب روحها في الغناء، وكان من أحب الأغاني إلى قلبها أغنية حزينة دامعة، هي منظومة الشاعر لبناني

فقد شقيقه الوحيد الصغير فرثاه وبكاه بألفاظ هي قطرات من ذوب قلبه!..

وكان مطلع المنظومة "أنا والنار"، وهذا هو كل ما أذكره اليوم من كلماتها: ما غنتها آمال مرة إلا بكت وأبكت السامعين.كانت تبدأ الغناء وهي جالسة بيننا، ولكنها لا تكاد تمشي في غناء هذه المرثية بين الآهات والأنين والزفرات المحرقة حتى تتهاوى من مقعدها إلى أرض الغرفة، وتنهي غناءها في همس ممدود هو القبر، وقد أخفت وجهها بيديها ودموعها تبلل السجاد!

دعتها مرة جامعة فؤاد الأول "جامعة القاهرة الآن" للغناء في الحفلة التي أقامتها الجامعة في مساء الخميس ١٠ أكتوبر ١٩٤٠ تكريمًا لمديرها وقتئذ المغفور له الدكتور علي باشا إبراهيم. واحتشد لسماعها نحو خمسة آلاف من كبار المدعوين وطلبة الجامعة.

وغنت أسمهان قصيدة نظمها خصيصًا لهذه الحفلة – إذا صدقتني الذاكرة – الشاعر الأستاذ عبد الغني حسن ولحنها الأستاذ مُحَمَّد القصبجي، وأذيعت الحفلة من محطة الإذاعة وسمعتها وأنا جالس في داري. وسمعت تصفيق الآلاف لأسمهان وهتاف حناجر الآلاف لأسمهان! وأنهت أسمهان غناءها في أقل من ساعة وغادرت الحفلة، بالرغم من الاحتجاج والتصفيق الشديد!

وبعد ذلك بيومين دعتني أن أصحبها إلى محطة الإذاعة لكي أسمع معها الشريط الذي سجل لغنائها في الحفلة المذكورة، واستقبلنا الأستاذ سعيد لطفي باشا مدير المحطة، وبعد أن سمعنا الشريط المسجل التفت سعادته إلى آمال يعاتبها ويقول:

– لقد كان أمامك خمسة آلاف سامعا يصفقون لك ويهتفون لك.. بعد أن سيطرت عليهم وسحرتهم بصوتك وكان في مقدورك أن تبقيهم هكذا فرحين مصفقين معجبين بك إلى مطلع الفجر، ولكنك مشيت عدوًا في الغناء وأسرعت فغادرت الحفلة وهكذا ضيعت على نفسك فرصة لا تعوض!

وكان ردها رحمها الله:

– ولكنني أكره الغناء في الحفلات العامة.. أيًا كانت!

ومع ذلك فقد كانت آمال تحب الغناء وتحبه لذاته، ولا أذكر أنها رفضت مرة واحدة أن تجيب دعوة صديقة أو صديق لها للغناء في حفلة خاصة، وطبعًا بدون أجر. وشأن كل فنانة أصيلة لم تكن رحمها الله تعرف الحسد ولا الغيرة الصغيرة. فكانت تعجب بالصوت الجميل أيًا كان صاحب أو صاحبة الصوت الجميل. وكم من مرة رأيتها جالسة تصغي إلى أغنية كانت ظهرت وقتئذ لعبد الوهاب وهي "طول عمري عايش لوحدي" تسمعها وتبكي! وأقمت مرة حفلة صغيرة دعوت إليها عددًا قليلًا من صديقاتها وأصدقائها وغنى فيها المطرب الكبير الأستاذ صالح عبد الحي

واستخف الطرب آمال، فإذا بها تشب واقفة وترقص على النغم القديم ولعلها كانت المرة الأولى والأخيرة التي رقصت فيها أمامي.

## زواجها من أحمد بدرخان

وانتهى عام ١٩٤٠ وعلاقتي بأسمهان كما وصفت. كانت تكلمني بالتليفون. وكنت أسأل عنها بالتليفون. وكانت تزورني أو تتناول عندي طعام الغداء من حين إلى حين.. وكانت رحمها الله مشغولة في ذلك الوقت بالعمل هي وشقيقها الأستاذ فريد الأطرش في أول فيلم لهما وهو "انتصار الشباب" وكانت تعلق آمالًا كبيرة على نجاح الفيلم المذكور.. ولم تكن هذه الآمال الكبيرة لنفسها هي؛ فقد كانت تعتقد كما سبق أن قلت أن حياتها قصيرة وأجلها قريب.. وإنما كانت آمالها الكبيرة لشقيقها فريد، فقد كانت تحبه حقًا وتحترمه وتؤمن أنه فنان موهوب وأن الحظ لا بد أن يواتيه يوم يعترف له الجمهور بأنه ملحن ومطرب من الدرجة الأولى.

وكان مخرج الفيلم المذكور هو الأستاذ أحمد بدرخان، وكان طبيعيًا أن يلقى أسمهان في كل يوم وأن يتحدث إليها وأن تتحدث إليه.. وأن يتناول الاثنان معًا طعام الغداء أو طعام العشاء في الأستوديو – بحكم ظروف العمل – وأن ينصرفا معًا بعد انتهاء العمل، أو يقضيا السهرة معًا في مراجعة عمل الغد إلى آخر المائة رابطة ورابطة التي يخلقها العمل المشترك بين مخرج الفيلم وبطلة الفيلم.

وذات مساء – في أوائل شهر فبراير – وكنت واقفًا في شرفة مكتب أخر ساعة الذي يطل على ميدان الخديوي إسماعيل،وقفت سيارة أمام باب العمارة التي كان المكتب في إحدى شقق دورها الأول، ونزلت من السيارة آمال.

وظننت أنها قادمة لزيارتي في المكتب كما كانت تفعل أحيانًا، ولكن الدقائق مرت حتى أصبحت ربع ساعة ولم تدخل آمال علي في مكتبي، وأرسلت أحد سعاة المكتب يسأل بواب العمارة – وكان يعرفها – أين ذهبت السيدة؟

وعاد الساعي يقول أن السيدة آمال صعدت في مصعدالعمارة إلى الطابق الذي يسكن في أحد شققه مسيو فلان المصور أستوديو شركة مصر للسينما، وأن هذه ليست أول مرة تزوره فيها أسمهان.

ولم أر في الأمر ما يثير التساؤل فقد كان طبيعيا جدًا أن تتردد بطلة الفيلم على المصور الذي يصور الفيلم لكي تبادله الرأي أو يستأنس هو برأيها في بعض المناظر التي التقطت أو التي على وشك التصوير.

هذا وإن كنت لم أستطع إلا أن أعجب ولو قليلًا لماذا وكيف كانت تكثر من التردد على العمارة التي فيها مكتب آخر ساعة دون أن تمر بي مرة واحدة صاعدة أو نازلة ودون أن تذكر لي شيئًا ما عن هذه الزيارات وبالرغم من أنها كانت تحدثني بالتليفون في كل يوم تقريبًا.

وغادرت المكتب وبينما كنت أنزل درج السلم على قدمي – ومكتب آخر ساعة في الطابق الأول – رأيت الأستاذ أحمد بدرخان يدخل المصعد الكهربائي، ولم يرني هو، وسألت بواب العمارة عن "الأفندي" الذي صعد بالمصعد الآن وهل هو أيضًا يتردد على مسيو فلان المصور؟ قال: نعم ودائمًا عندما تحضر لزيارته ست أسمهان. وقلت لنفسي أن الأمر طبيعي.. بطلة الفيلم تجتمع بمخرج الفيلم ومصور الفيلم! ولكن شيئًا ما بقي في رأسي وتفكيري.

لماذا لم تذكر لي ولا كلمة واحدة عن هذه الاجتماعات المتعددة بينها وبين بدرخان ومصور الفيلم؟ مع أنها كانت تروي لي كل تفصيل ثانوي عن عملها في فيلم انتصار الشباب؟

وشاءت المصادفة أن تكلمني بالتليفون في نفس المساء وفي ساعة متأخرة، وسألتها عن أحوالها وعن سير العمل في الفيلم فقالت أن كل شيء يسير على خير ما يرام. واستدرجتها في الحديث، أو لعلني أردت أن أهيئ لها فرصة.

قلت: يظهر أن عملك كثير في الأستوديو هذه الأيام؟

قالت: جدًا.. عمل متواصل من الصبح إلى الليل.

قلت: وهل أنت عائدة الآن فقط من الأستوديو؟

قالت يرحمها الله: يا دوبك.. رجعت من عشر دقائق بس وغسلت وجهي وطلبتك بالتليفون.

وسكت ولم أذكر لها شيئًا، ولا كيف رأيتها وهي تدخل العمارة ولا عن ترددها هي وبدرخان على مصور الفيلم، وأدركت في تلك الليلة أنه لا بد أن يكون هناك شيء ما بينها وبين المخرج أحمد بدرخان.. شيء ما غير حديث الفن وحديث الإخراج وإلا لما كانت أخفته عني.

وسوف يعجب القارئ –كما عجبت أنا يومئذ– كيف لم يخطر لها يومئذ مادامت مقابلاتها مع أحمد بدرخان تتم في نفس العمارة التي بها مكتب آخر ساعة.. كيف لم يخطر لها أنني قد أراها مرة أو أراهما معًا أو.. أو.. إلى آخره. ولكن هذه هي آمال! إذا أرادت أمرًا مشت إليه دون أن تلقي بالًا أو تأبه لأحد!

ومضت أيام وأيام تقابلنا خلالها مرتين أو ثلاث مرات في دار صديقتها السيدة أمينة البارودي، كما أنها كلمتني كما كلمتها مرارا بالتليفون دون أن تشير ولو من بعيد أو تذكر لي حرفًا واحدًا عن الأستاذ أحمد بدرخان. وأخيرًا.. وفي مساء الاثنين ٣ مارس كلمتني بالتليفون. وقالت:

– عندي خبر علشانك؟

– خيرًا

– اتفقت أنا وبدرخان على الزواج.

– ألف مبروك!

وأرادت هي الاستمرار في الكلام، ولكني قلت أنه يحسن بها تأجيل بقية الحديث إلى الغد لأننا الآن في منتصف الليل.. وقد آلمني منها أنها أخفت عني طول هذه الأسابيع مشروع زواجها من بدرخان.. لماذا؟.. لا أعرف! ولما كلمتني في الصباح سألتها لماذا أخفت عني خبر مقابلاتها مع بدرخان و.. إلى آخره. قالت أنها كانت مترددة في الزواج منه.. كما أنها تعتقد أن الأمر لا يهمني في كثير أو في قليل! ثم تابعت:

– وأنا لم أخبر أحدًا.. وأنت أول من يسمع بالخبر.. اللهم إلا أمينة فهي الوحيدة التي كانت عارفة.

– وأهلك هل قلت لهم؟

– كلا. وربنا يلطف يوم تعرف أمي ويسمع فؤاد بالخبر!

والذي قلته ساعتئذ كان حقيقة من قلبي قلت لها أنني عرفت أحمد بدرخان في باريس عام ١٩٣٤ أيام كان يدرس هناك فنون السينما وأنني أعجبت بأدبه وحيائه وأنه شاب على خلق كريم وأنه من بيت طيب كما أنه ورث عن أبيه مالاً يغنيه عن العمل لو يشاء، ولكنه يحب عمله لأنه فنان..

ومضيت أقول أن زواجها من بدرخان هو خير زواج كان يمكن للحظ الحسن أن يسوقه إليها، لأن زوجها مخرج سينمائي ممتاز وهي مطربة تعمل الآن للسينما، فكل منهما والحالة هذه يكمل صاحبه.. ولكن.. وبينما كنت أتكلم في هذا المعنى أقفلت هي التليفون ويظهر أن كلامي لم يعجبها!

ماذا قالت أسمهان؟ وماذا قال بدرخان؟

**ولكن كيف انتهى الاثنان إلى الزواج؟**

حدثتني هي فيما بعد؛ فقالت أن بدرخان كان دائمًا رقيقًا لطيفًا معها أثناء العمل على عكس ما كانت تسمع عن المخرجين. وأنه كان يحدثها أثناء جلساتهما عن حياته المضطربة القلقة، وكيف أنه لم يعد لا في بيت الزوجية، ولا في البيت الآخر وأنه يتمنى لو يوفقه الله إلى الزوجة التي يسعدها وتسعده.. إلى آخره. وأن هذا الحديث – حديث حياته المضطربة – جرها هي أيضًا للحديث بدورها عما تلقاه في حياتها من عذاب وآلام. قالت:

– وتعددت جلساتنا وأحاديثنا في هذا المعنى. تمت مقابلاتنا عند مصور الفيلم. وأخيرًا اتفقنا على الزواج لعل وعسى أن نوفق إلى بناء حياتنا من جديد!

هذه رواية أسمهان، ولعل القراء يذكرون ما سبق أن قلته وهو أن آمال كانت تريد أن تتزوج للأسباب التي ذكرتها في فصل سابق. أما الأستاذ أحمد بدرخان فإنه يروي قصة أخرى تختلف تمامًا عن قصة آمال. وأحب أن أقول أنني لم أسمع منه نفسه هذه القصة بل سمعتها من صحفي زميل وهو يقول أنه سمعها من بدرخان.

ولهذا السبب لا أحب أن أتحمل مسئولية نشر رواية لم أسمعها بنفسي من صاحبها، وأكتفي بالخلاصة وهي أن بدرخان لم يسع إلى آمال بل هي التي سعت إليه!.. وأنه لم يتقدم إليها بل هي التي تقدمت إليه تشكو حالها وما تلقاه من أسرتها!.. هذه هي رواية بدرخان كما قصها على زميلي المذكور، وللقراء أن يحكموا بين الروايتين، أيهما أحرى بالصدق والقبول؟

هنأت أسمهان بخطبتها لبدرخان، وكنت مخلصًا في التهنئة فإن بدرخان كما قلت رجل كريم النفس والخلق وفي مقدوره أن يكون زوجًا طيبًا. وقلت في نفسي آن للمسكينة أن تهدأ وتستقر وتستريح، ولكنني شككت منذ اللحظة الأولى –كما شكت هي – في أن أهلها سيوافقون على هذا الزواج، ذلك لأنني كنت سمعت من صديق حميم للأسرة – وخصوصًا لفؤاد الأطرش – أنه لا السيدة أمها ولا شقيقها فؤاد يوافقان على زواجها من أي أحد.

وإذا كانت أمها سبق لها أن رفضت في عام **١٩٣٣** أن تزوجها من ابن عمها "الأمير" حسن الأطرش لأن أسمهان –على حد قولها– كانت

الدجاجة التي تبيض الذهب، إذا كان هذا هو الحال يومئذ أي يوم لم تكن أسمهان بعد شيئًا مذكورًا في دنيا الغناء فأحرى بالسيدة الأم أن ترفض في عام ١٩٤١ الموافقة على الزواج بعد أن اشتهرت أسمهان وأقبل على بابها متعهدو الحفلات وبدأت تعمل للسينما وتوشك أن تصبح كوكبًا لامعًا.. ودجاجة لا تبيض الذهب فحسب بل تبيض اللؤلؤ والماس! وإن هي إلا أيام حتى تحققت شكوكي. فقد زارتني آمال بعد ظهر يوم الجمعة ٧ مارس وقالت أن شقيقها فؤاد دخل عليها غرفتها في الصباح وهددها وأغلظ لها القول ونهاها عن التفكير في زواج بدرخان.. قالت: وليس أمامي إلا أن آخذ "هدومي" واترك لهم البيت. وأعرتها حقيبتين كبيرتين حملهما خادمي إلى دارها، وذهب معها ثم عاد بالحقيبتين مملوءتين.

أما آمال فقد لجأت إلى دار صديقتها أمينة البارودي، وكان ذلك اليوم – ٧ مارس ١٩٤١– آخر عهدها بالحياة مع أسرتها لأنها لم تعد إليهم ولم يظلها وإياهم سقف واحد بعد ذلك اليوم، وفي اليوم التالي كان عليها أن تغني في حفلة المهرجان اللبناني في فندق الكونتيننتال ومن ثم حضرت إلى مسكني واستبدلت ملابسها استعدادًا للسهرة ثم أرسلت الحقيبتين بحوائجها إلى دار صديقتها أمينة وأوصلتها بسيارتي إلى فندق الكونتيننتال.

وبعد يومين – الاثنين ١٠ مارس – تولى الأستاذ مُحَمَّد القاضي المحامي الشرعي كتابة عقد الزواج العرفي بين أسمهان وأحمد بدرخان. وكانت بعض صديقات أسمهان قد نصحن لها بالاكتفاء مؤقتًا بعقد زواج عرفي والسعي

بعدها عند وزارتي الداخلية والعدل من أجل الحصول على إذن بزواجها من بدرخان لأنها رحمها الله كانت معدودة يومئذ أجنبية وكان هناك قانون صدر في أوائل الحرب كما سبق أن قلت يحرم على المأذونين الشرعيين كتابة عقد زواج بين مصري وأجنبية إلا بعد موافقة وزارتي العدل والداخلية.

وكلمني يومئذ بالتليفون المرحوم سليم باشا زكي وقال أنه سمع أن آمال تزوجت ولكن زواجها عرفي، وأبدى رحمة الله أسفه وقال أنها لو كانت استشارته في الأمر لكان نصحها بالانتظار إلى ما بعد الحصول على موافقة الجهات المختصة ثم إتمام الزواج بعقد شرعي صحيح. وفي نفس اليوم – يوم الزواج – أحس أهلها بأن هناك شيئًا ما خصوصًا أنها نامت الليلتين السابقتين في دار صديقتها السيدة أمينة البارودي.

وأرادوا أن يتحققوا من الأمر فذهبوا إلى غرفتها في المسكن ولكنهم وجدوها مغلقة! ولم يجدوا المفتاح، لأنها كانت أخذته معها من الاحتياط. وكسروا باب الغرفة ولما دخلوها وجدوا دواليب ملابسها خالية خاوية إذ كانت أخلتها كما سبق أن قلت وهربت حوائجها في الحقيبتين!

وأجد في مفكرة الجيب بتاريخ الخميس **١٣** مارس:

"كلمتني والدة آمال بالتليفون ودعتني لمقابلتها. وذهبت إليها ثم حضر فؤاد الأطرش وصديقه كامل. وكان الحديث كله عن زواج آمال. ويظهر أنهم كانوا يرجون أن أنضم إليهم في إحباط الزواج ولكني رفضت

ودافعت عن آمال وعن زواجها بدرخان". وبعد بضعة أيام بدأت آمال حياتها الزوجية مع بدرخان في شقة صغيرة استأجرتها في عمارة إيموبيليا وجهزتها على عجل بالبسيط الضروري من الأثاث..

### أسمهان تترك بدرخان

وبدأت السعي لدى وزارتي الداخلية والعدل للحصول على موافقتهما على عقد الزواج. قابلت مرارًا لهذا الغرض وكيل وزارة الداخلية وقتئذ حمدي باشا محبوب ومدير إدارة الجنسية والجوازات زكي بك سعد. ولكني سرعان ما تبينت أن "المعارضة" أشد وأقوى مني بكثير وأن المساعي التي بذلتها هذه "المعارضة" قد قضت على كل أمل في موافقة الوزارة على هذا الزواج.

وأول المعارضين الساعين لإحباط الزواج كان أفراد أسرة أسمهان نفسها، وأستثني منهم الأستاذ فريد الأطرش الذي كان يصرح دائمًا بأن كل ما يهمه هو أن تكون شقيقته آمال سعيدة في حياتها وأنه يوافق على زواجها ببدرخان ما دامت هي اختارته زوجًا لها بحريتها وإرادتها. ولكن المعارضة القوية ذات النفوذ جاءت من ناحية أسرة بدرخان ثم أسرة السيدة زوجة بدرخان. وكان للأسرتين أصدقاء كثيرون ذوو نفوذ في دوائر وزارتي الداخلية والعدل.

وفي صباح الأربعاء ٣٠ أبريل فوجئت بزيارة آمال في الساعة التاسعة صباحًا، وقالت وهي تعتذر عن قدومها في الساعة المبكرة: "خلاص!

طلقت بدرخان!" قلت: "ماذا؟" قالت: "خلاص طلقت بدرخان!" وبُهت!.. ومضت هي تقول أن بدرخان لم يعد ليلة أمس إلا الساعة الثانية صباحًا وكان سكرانًا!.. وأنها آخذته على غيابه هذا ومن ثم قامت مشادة بينهما. قالت: وأخيرًا قمت إلى الدولاب وأخرجت منه عقد الزواج العرفي ومزقته وقلت له.. خلاص اتفضل بأه. وقد انصرف ولعله ذهب إلى دار صديقته "..."فلانة.. قلت: أنت مجنونة. ولقد أسأت إلى نفسك بهذا العمل الأخرق أكبر إساءة. فماذا يقول الناس الآن عنك وعن هذا الزواج الذي لم يمر عليه أكثر من بضعة أسابيع بل سوف يعرف الناس غدًا أن زواجك من بدرخان كان بعقد عرفي..

والآن أتساءل هل كان سبب الفراق أو "الطلاق" هو حقيقة ما ذكرت؟ أي لأن "زوجها" بدرخان لم يعد إلى بيت "الزوجية" إلا في الساعة الثانية صباحًا، أو بعبارة أدق هل كانت الغيرة هي السبب؟..

الذين يعرفون آمال رحمها الله لا يصدقون هذا السبب! وأن الغيرة هي السبب بل يقولون إن هي إلا حجة!

ولكن من يدري، فقد كانت أسمهان مجموعة من المتناقضاتأو ترى السبب هو أنها أدركت أخيرًا أن وزارتي العدل والداخلية لن توافقا على زواجها من بدرخان، ومن ثم رأت هي أن تضع حدا لهذا الزواج العرفي الذي لا يتفق مع كرامتها؟

ربما كان للسببين نصيب في أمر انفصالها عن بدرخان، ولكني أعرف على كل حال أنها اقتنعت برأيي ورأي صديقاتها وقبلت أن تتصالح مع بدرخان وأن تستأنف حياتها معه لعل وعسى أن يفلح المسعى ويوافق ولاة الأمور على عقد الزواج.. وفي المساء وبناء على اتفاق بالتليفون أقبل بدرخان على دار السيدة أمينة البارودي في الزمالك وكانت آمال موجودة هناك. وفتحت أمينة حديث الصلح، ولكن بدرخان قطع عليها الحديث وقال أنه لم يلب دعوتها ويحضر لكي يتكلم في الصلح وإنما جاء ليقول كلمة صريحة كانت تثقل على صدره وهو الآن يشكر هذه الفرصة التي هيأتها له آمال لكي يقول هذه الكلمة ويخفف عن صدره ما يعانيه!..

أما هذه الكلمة فهي أنه ليس مغفلًا كما تعتقد آمال! بل أنه كان يفهم كل شيء ويدرك سبب كل شيء ولكنه سكت على مضض لأنه أراد أن يكون "جنتلمان" معها إلى النهاية ويقف إلى جانبها إلى أن توافق الوزارة على الزواج ويصحح الوضع الحالي وتصبح آمال زوجته الشرعية وتكتسب الجنسية المصرية التي تسعى للحصول عليها، ثم يطلقها في الحال ولكن أما وقد قطعت هي وبمحض اختيارها ما بينها وبينه فإنه يحمد الله ويقول "بركة يا جامع اللي جت منك ولا جتش مني" إلى آخره.. إلى آخره..

ونهض بدرخان على أثر إلقاء كلمته هذه وحيا السيدات الحاضرات وانصرف.. وهكذا انتهى زواج أسمهان ببدرخان ولقد كنت شجعتها بل وألححت عليها بإتمام الزواج لأنني كنت أرجو كصديق يفهمها ويدرك آلامها النفسية وما تقاسيه، أن تجد في حياة الزوجية عزاءً عما تعانيه وأن

يكون في زواجها من رجل مثقف طيب القلب كريم النفس ما يقطع دابر الأقاويل والإشاعات التي كانت تنغص عليها حياتها، وبعض هذه الإشاعات كان يجد في تصرفات أسمهان نفسها ما يبرره.. وقدرت كذلك أن في وجود زوج إلى جانبها ما يقويها ويشد من ظهرها ويبعث الثقة في نفسها، من أجل هذا نصحتها وألححت عليها بالزواج، ولكن الزواج لم يدم كما رأينا سوى بضعة أسابيع! وها هي ذي المسكينة توشك أن ترد إلى حياتها الأولى، حياة الوحدة والابتسامة المصطنعة والدمع المحبوس!.. حياة الإشاعات والهمس المسموم والأقاويل! حياة الريشة في مهب الرياح.. وقابلتها غداة يوم الطلاق فإذا بها مهمومة واجمة، وقالت بابتسامتها التي أعرفها والتي تختلط فيها الكبرياء بالرثاء، الرثاء لنفسها.. قالت:

– ماأقساكم معشر الرجال! لقد حرص بدرخان اليوم على أن يمر أمامي بسيارته وقد جلست إلى جانبه صديقته الممثلة فلانة.

– ومن ذا الذي يلومه! لقد جرحته أنت ساعة مزقت عقد زواجك وألقيت به في وجهه ثم أريته باب الخروج!.. وكما جرحته يحاول أن يجرحك..

– كلا، إن كنت جرحته فقد كان ذلك بدافع الحرص عليه ولكنه جرحني لينتقم وشتان بين الحالين.

وفي اليوم التالي زارها شقيقها فؤاد والسيدة أمها – ومن بعدهما فريد – وصالحوها أو سووا ما بينهم وبينها واشترطت هي أن تبقى في مسكنها

الجديد – في عمارة إيموبيليا – أي ألا تعود إلى حياتها الأولى معهم في عيشة واحدة وقبلوا منها هذا الشرط، وربما قبلوه على مضض. وكان خبر طلاقها قد ذاع وانتشر، ورجتني هي أن أتوسط لدى الصحف الأسبوعية حتى لا تنشره وتكلمت فعلًا مع الزملاء وأجاب بعضهم الرجاء، وأصر البعض على نشر كافة التفاصيل.

### أسمهان المظلومة

وغلبها الحياء أو الكبرياء فلزمت مسكنها أيامًا لا تغادره ولم يكن يزورها يومئذ سوى أمينة البارودي وبعض الصديقات من كرائم العقيلات، ثم مرضت ولزمت الفراش وأرسلت خادمها "عوض" تدعوني لزيارتها، ولم يكن عندها تليفون في مسكنها الجديد، ولكني رفضت أن أزورها في مسكنها.

والحقيقة – وقد يعجب منها قارئ أو قراء ولكنها الحقيقة الحاصلة – هي أنني تحرجت أن أزورها في دار كنت لا أزال أحس أنها دار الزوجية.. دار بدرخان ولهذا السبب وحده رفضت!..

ولما كنت أعلم أنها كانت أنفقت كل قرش في يدها على تأثيث "بيت الزوجية" فقد أشفقت أن تكون مريضة وفي حاجة وطويت خطاب اعتذار وتحية ودعاء بشفائها على مبلغ من المال وناولته لخادمها. ولكنها أعادت إلي خطابي كما هو – وبما فيه – وقد كتبت على ظهره "كنت أريد فقط أن أراك فلم تتنازل وأشكرك".

وأقف هنا قليلًا لأذكر القراء بما سبق أن ذكرته في فصل سابق وهو أنها كانت في مرضها لا تجد ثمن الدواء! وأن النور قطع عن مسكنها هذا لأنها لم تكن تملك ثمن النور، ومع ذلك فقد ردت إلى خطابي بما فيه!

هذه هي آمال أو أسمهان التي قال عنها صحفي أو صحفيون بعد سفرها من مصر أنها كانت فتحت مسكنها في عمارة إيموبيليا للعب القمار وأنها كانت السبب في خراب وإفلاس اللعب طبيب شاب! وأن البوليس داهم مسكنها واستولى على أدوات اللعب و"الفيش" ثم أخرجها من البلاد. سلسلة من الأكاذيب المختلقة عمدًا بقصد التشهير، كما سيعرف القراء فيما يلي..

ولكن العجب الحقيقي هو أن الصحفي أو الصحفيين المذكورين الذين تولوا حملة التشهير والأكاذيب ضد أسمهان في صيف ١٩٤١ هم أنفسهم الذين ذرفوا في شتاء ١٩٤٩ يوم نشرت قصة أسمهان.. ذرفوا دموع التماسيح على أسمهان وكتبوا في الأخلاق وأدب الكتابة وما يليق نشره وما لا يليق!..

وشفيت آمال من مرضها، وفي أول يوم خرجت فيه ذهبت إلى دارها الأولى وتناولت طعام الغداء مع أفراد أسرتها، وفي طريق العودة زارتني واقترحت على أن نمضي السهرة معًا في مكان ما.. في الكيتكات أو على سقف الكونتيننتال "روف جاردن".. وهنا كان لا بد أن أقول لها ما ترددت في قوله ومصارحتها به منذ طلاقها من بدرخان.

قلت لها أنه كان يسرني دائمًا – قبل زواجها – أن أخرج معها إلى السينما أو المطاعم أو هنا وهناك ولكنني لا أستطيع الآن أن أظهر معها في أي مكان عام! وإلا فماذا يقول الناس عنها وعني! ولبعض الناس لسان قاس، لسان طويل، سيقولون أنها تزوجت وطلقت بعد بضعة أسابيع! ثم خرجت تستند إلى ذراعي كأن شيئًا لم يحدث أو كأن الزواج والطلاق في أسابيع معدودة أمر عادى مألوف! بل وقد يظلمني لسان الأقاويل ويعدني مسئولًا عن طلاقها من بدرخان!

ثم قلت أنه يسرني دائمًا أن أراها وألقاها، ولكني لا أستطيع أن أغشى معها المحال العامة بعد اليوم.. ولم يعجبها كلامي لأنها هزت كتفيها وأولتني ظهرها وانصرفت. وبعد ذلك بيومين اثنين – وكان الأحد ١٨ مايو ١٩٤١– زارتني لتقول لي "كل سنة وأنت طيب"، فقد كان اليوم عيد ميلادي.. ثم قدمت لي رحمها الله هدية العيد وهي زراران من البلاتين المرصع لأكمام القميص. وشكرتها على أنها لم تنس تاريخ مولدي ثم شكرتها على هديتها الثمينة، وأخيرًا سألتها من أين جاءت بالمال الذي اشترت به هذه الهدية؟

قالت أن أحد متعهدي الحفلات – أحمد أفندي الطيب – قد اتفق معها على حفلة غنائية سوف يقيمها في شهر يونيه القادم وأنه أعطاها أربعين جنيهًا بصفة عربون.. قلت: ومن قال لك أن تنفقي مالك في شراء الهدايا وأنت محتاجة إلى كل قرش منه؟.. وعاتبتها على إسرافها هذا وقلت

أنه كان يكفيني منها طاقة من الزهر. ثم انصرفت على أن تتناول معي غدًا طعام الغداء.

وجاء الغد وتأخرت هي قليلًا عن موعدها وأخيرًا أقبلت تعتذر وتقول أنها تأخرت لأنها كانت تبحث في مجال الأثاث عن طقم صالون وأنها وفقت أخيرًا للعثور على طقم جميل وثمنه مقبول وهو مكون من "كنبة" ومقعدين كبيرين. وسألتها كم الثمن؟ قالت – وقد وقعت في الشرك – أنهم طلبوا أول الأمر ثمانين جنيهًا ولكنها ساومتهم حتى رضوا أن يبيعوها الطقم بخمسة وخمسين جنيها.. ودفعت المبلغ؟.. قالت: طبعًا! وهنا فقط أدركت رحمها الله أن ذكاءها أو ذاكرتها خانتها وأنها وقعت في الشرك! فقد احمر وجهها وجالت عيناها في وجهي وكأنها تريد أن تقول، لا تظلمني ولا تتسرع في حكمك علي!

أما أنا فقد كنت نهضت من مقعدي أمام المائدة وخرجت وعدت وفي يدي هديتها التي كانت قدمتها لي أمس!.. ورميت لها بالهدية وقلت: وأنا أحذف هنا كثيرًا مما قلته ساعتئذ:

– أنا أرفض قبول هدية لا أعرف مصدر المال الذي اشتريت به! اللهم إلا أن تكون الأربعون جنيهًا التي دفعها لك متعهد الحفلات قد كفت لأن تشتري منها زراير بلاتين ثم تدفعي منها خمسة وخمسين جنيهًا!..

وترددت هي قليلاً ثم قالت:

–أقول لك الحق؟..

وسألتها ساخرًا: ومتى قلت الحق؟

قالت: معلهش صدقني هذه المرة، لقد اقترضت مائة جنيها من صديقة لي

قلت: كذابة..

وغادرت أنا الحجرة وتركتها جالسة وحدها أمام المائدة والدموع في عينيها ثم انصرفت هي بعد قليل! ولقد عرفت فيما بعد أنني ظلمتها وأنها لم تكذب لأنها كانت اقترضت حقيقة مائة جنيها من سيدة اسمها رجاء!

وهنا قد يتساءل القارئ لماذا أطيل الوقوف عند هذه التفاصيل الصغيرة؟ أو لماذا أحرص على سرد حكاية "تافهة" مثل حكاية الهدية بمثل هذا التفصيل؟.. هل هي الأنانية أو الغرور؟لا هذه ولا تلك.. وإنما أحببت أن ألقي شيئًا من الضوء على هذه الشخصية المعقدة أو النفسية المعقدة، أو على حالة أسمهان النفسية في تلك الأيام.. منذ أسبوع واحد كانت مريضة وكانت لا تجد ثمن الدواء.

ثم ها هي ذي تحصل على أربعين جنيهًا من متعهد حفلات وتقترض فوقها مائة جنيها لا لتنفق منها على ضرورات الحياة ولكن لتشتري منها هدية تقدمها وطقم صالون! وثانيًا.. ها هي ذي تخرج من مسكني وفي

صدرها ثورة المتهم المظلوم! وكانت فهمت منى قبل ذلك – أو خيل لها – أنني أصبحت أستحي من الخروج معها أمام الناس.

ومن قبل هذه وتلك خاب زواجها، وتحدثت بخيبتها المجلات وسخر منها من سخر وشمت فيها الشامتون!.. كانت هذه حالتها النفسية يوم اتصل بها أحد رجال السفارة البريطانية بالقاهرة، ولكنني أستبق الحوادث..

خرجت من داري كسيفة البال حزينة باكية ولكنها عادت وكلمتني في المساء بالتليفون وسمعت أنا موسيقى وجلبة فسألتها من أين تتكلم؟

قالت من حديقة سقف الكونتيننتال، وأنها تتناول العشاء مع "البرنس شوكت" وآخرين، ولا أعرف من هو البرنس شوكت ولعله أحد أمراء الأتراك اللاجئين إلى مصر..

ثم قالت: هل أراك هذا المساء؟.. قلت: كلا؟ قالت: أراك إذن غدًا؟.. قلت: كلا.. لا غدًا.. ولا بعد غد! ولا أريد أن أرى وجهك!.. وصاحت هي بغضب: "في ستين داهية!" وكان ذلك في مساء الاثنين ١٩ مايو..

وفي صباح يوم الأربعاء زارني صديقي سليمان نجيب وقال أنه قابل آمال ظهر أمس في قاعة المائدة بفندق شبرد – وكانت تتناول الطعام مع السيدة ليلى فتحي – وأنها انتحت به جانبًا وشكت له من سوء ظني ولكنها حريصة مع ذلك على صداقتي لأنني طيب القلب وصديق

مخلص.. إلى آخره، وأنها سوف تزورني هذا المساء، ورجت منه أن يبلغني مقدمًا خبر هذه الزيارة حتى إذا كان لي اعتراض عليها عدلت عن الحضور.

وعاتبني الصديق القديم على ما أسماه "فظاظة خلقي" ونصح لي أن أبقي ظنوني وشكوكي لرجال السياسة.. وانصرفت بعد أن أخذ مني وعدًا بأن أحسن استقبال آمال. وانتظرتها في المساء ولكنها لم تحضر.. بل ولم تتكلم بالتليفون..

ومر اليوم التالي – الخميس – ولم تحضر، ولم تتكلم بالتليفون، وكان أمرًا عجيبًا حقًا ألا أسمع منها شيئًا ثلاثة أيام متوالية، فما أذكر أن القطيعة طالت بينها وبيني في أية مرة أكثر من يوم واحد.. ولكنيسكت..

وبعد ظهر يوم الجمعة كلمتني بالتليفون – وكنت في مكتبي بآخر ساعة – وسألتني هل تستطيع أن تقابلني هذا المساء لأمر مهم؟ قلت: نعم.. واتفقنا على أن نلتقي في داري في الساعة الثامنة.

### الحكومة البريطانية تتصل بأسمهان!

وحضرت في الموعد، وكما فعلت في مرة سابقة اتجهت إلى غرفة المائدة وملأت لنفسها قدحًا من الويسكي ثم عادت وجلست أمامي.. وفتحت حقيبة يدها وأخرجت منها المصحف الصغير الذي كانت تحمله معها دائمًا، وأسأل السادة رجال الدين المعذرة، ولكنني أروي هنا الحقيقة،

وبعد فهذه هي أسمهان المليئة بالمتناقضات.. وأمسكت بيدها قدح الشراب.. وبيدها الأخرى مدت إلي الكتاب الكريم وهي تقول:

– أقسم على القرآن الشريف أن لا تبوح لأحد بكلمة واحدة مما سأقصه عليك الآن إلى أن تنتهي مهمتي!..

قلت وأنا أبتسم:

– هذه ميلودراما!.. إيه الحكاية؟..

– قالت: أقسم أولًا!..

ولكني رفضت أن أحمل كلامها محمل الجد.. وعادت هي تلح عليّ أن أقسم قلت: وإذا رفضت أن أقسم.. قالت: في هذه الحالة لن تعرف السبب في سفري! قلت: سفرك فين؟ قالت: إلى الشام.. قلت: متى؟.. قالت: يوم الاثنين.. وكنا في مساء الجمعة **٢٣** مايو، ورأيت في عينيها أن الأمر جد فتناولت من يدها المصحف الشريف وأقسمت.

قالت – وأنا أنقل هنا لا عن مفكرة الجيب – فقد كانت الحكاية أكثر خطورة وأكبر أهمية من أن يشار إليها بعبارة أو عبارتين مقتضبتين – وإنما أنقل عن مذكرات مطولة سجلت فيها بتاريخ مساء **٢٤** و**٢٦** مايو **١٩٤١** كافة التفاصيل التي سمعتها من أسمهان، وأقرأ اليوم في نهاية المذكرات التي دونتها هذه العبارة "أسجل هذه التفاصيل فمن يدري ربما

تمكنت من نشرها بعد الحرب خدمة لآمال وإنصافًا لها أن أسيء إليها أو اتهمها أحد"

ولسوف يعجب القراء ويدهشون كما عجبت ودهشت في ذلك المساء! كيف أن بريطانيا التي كانت تجتاز يومئذ أحلك فترة من فترات الحرب وتحارب وظهرها إلى الجدار، كيف لجأت إلى المطربة أسمهان لتستعين بها على دخول سوريا ولبنان وطرد قوات حكومة فيشي التي كانت قد أسلمت زمامها للألمان.

وكان الحلفاء قد نجحوا قبل ذلك بشهر واحد في القضاء على ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ونشطوا إلى تثبيت أقدامهم في الشرق الأوسط والقضاء على كل نفوذ لألمانيا فيه.

قد يعجب القراء اليوم ولكن عجبي أنا في مساء ذلك اليوم من أيار مايو ١٩٤١ والحرب في أحلك أطوارها وأشدها خطرًا كان أعظم بكثير. ولكن بريطانيا لم تلجأ ولم تستعن بالمطربة أسمهان! وإنما لجأت أو استعانت بالأميرة الدرزية مطلقة أمير جبل الدروز. وبدأت آمال تروي القصة وأنا في شبه حلم!

هاأنذا على الرغم مني، قد اتصلت بسر خطير من أسرار الحرب!.. سر يوشك أن يغير الأوضاع الحربية في الشرق الأوسط ويبدل الموقف في الركن الشرقي من حوض البحر الأبيض المتوسط..

قالت: تذكر مساء الاثنين الماضي عندما كلمتك بالتليفون من حديقة سقف الكونتنتال وقلت لك أنني أتناول الشاي مع بعض الأصدقاء.. لقد كان يجلس إلى مائدة قريبة منا مستر نابيير.. هل تعرفه؟..
قلت: نعم..

"وكان مستر نابيير يومئذ يشغل منصب نائب مدير قسم الدعاية والنشر في السفارة البريطانية وقد نقل في ديسمبر ١٩٤٢ من القاهرة إلى منصب قنصل في مدينة "كازابلانكا" أو الدار البيضاء في المغرب" ومضت في قصتها فقالت:

–ونهض مستر نابيير من مقعده وتقدم نحوي وحياني وقال أنه يعرفني جيدًا وإن كنت أنا لا أذكره، لأنه شغل منصب قنصل لدولته في دمشق سنوات عديدة وعرف هناك أسرة الطرشان إلى آخره، ثم قال أن المصادفة الطيبة هي التي ساقته ذلك المساء لأنه كان يود مقابلتي منذ يومين ليحدثني في أمر مهم فيه نفع لي ولبلادي، وسألني هل هناك مانع من أن يلقاني على انفراد؟ ولما قلت كلا.. ناولني بطاقته وطلب مني أن أحدثه غدًا – أي الثلاثاء – بالتليفون على موعد المقابلة ومكانها، ولم أتردد في الموافقة.. فقد كنت في ذلك المساء بعد حديثي معك بالتليفون في حالة نفسية سيئة، وطبعًا لم يطف بخيالي أي شيء من العمل الذي عرضه علي الإنجليز، كل ما هناك أنني أحسست أن الرجل مستر نابيير يود أن يعرض علي أمرًا ما، ما هو؟ لا أعرف، ولكنه على كل حال تغيير ما يوشك أن

يدخل حياتي، وقد كنت مستعدة في ذلك المساء لقبول أية مجازفة مادام فيها شيء من التغيير.

– ...

كتب مُحَمَّد التابعي قصة المطربة أسمهان ونشرها في مجلة آخر ساعة في أوائل عام ١٩٤٩ وصدرت في كتاب بعنوان " أسمهان تروي قصتها" صدر ضمن سلسلة الكتاب الذهبي عام ١٩٦١، وقد اخترنا فصلا مما نشره التابعي، لوثيقة مهمة.

## قصة أسمهان ..

### يرويها شقيقها فؤاد الأطرش

كانت الأميرة آمال ترتع في النعيم وتنهل من نمير المجد، فتنفس عن عقد الحرمان في الطفولة وتنتقم لأيام كانت غير ذات حول أو قوة يقولون لها تزوجي فتتزوج، واسكتي فتسكت. ومضت في التنفيس عن العقد والانتقام فأدمنت من جديد السهر، وعادت إلى الخمر وصارت أكثر إدمانًا لها مما تركتها. وكان إسرافها الجنوني حديث الناس لأن كفها المعطاء كانت تستطيع أن تبدد الألوف في شهر واحد! وكانت تختلف إلى فندق الملك داود في القدس، هناك يحلو لها أن تقامر فإذا أبدى الأمير حسن امتعاضًا أو اعتراضًا تجاهلت الاثنين ومضت في غيها. وحديث حب الضابط الإنكليزي الكبير لها ذاع وشاع لأنه كان يتنقل وراءها إلى كل مكان تذهب إليه. وكان الجنرال بص قائد الطيران الإنكليزي قد بدأ ينقم على آمال لأن الناس لا بد سيبحثون عن أسباب بذخها فإذا عرفوها فقدت الأميرة أهميتها لأنها أجيرة! أما سبب النقمة الأكبر فهو إدمانها الشراب، والخمر تفك عقدة اللسان، وتحت اللسان إذا انفكت عقدته أسرار كثيرة يهز إفشاؤها مركز الحلفاء في الشرق الأوسط. والسبب الثالث أن الأميرة توقع في غرامها كبار الضباط. صحيح أنها لا تبادلهم الحب ولكن سهرها معهم ولعبها الورق وسكرها يصور للضباط أنها تحبهم. والطامة كبرى لو كانت آمال تلعب على حبلين وتتصل بالمحور!

وقد جاءت الأنباء من أوروبا أن هتلر يتجول بها في نزهات سريعة خاطفة فتركع الدول تحت قدميه واحدة بعد الأخرى. بل بلغت به الجرأة أن فتح جبهة في روسيا وأوغل إلى الجنوب منها وأشرف على القوقاز لتصير إيران على رمية المدفع! فإذا تحقق له أن يطلق جنوده من هناك فالكارثة محققة والنصر لهتلر شامل وأكيد. ولهذا كان تمكن الحلفاء من منطقة الشرق الأوسط عملية جذرية لا تهاون فيها! وبدأ الجنرال بص ينظر إلى الأميرة آمال على أنها مصدر خطر أكثر مما هي حصن أمان أو يد بيضاء. فشرع في التخلص منها. كان يعرف أنها قوية النفوذ بالنقود والنقود من عنده فقبض يده عنها، وبدأت آمال تحس ببوادر الإفلاس، ولكن هذا لم يثنها عن بذخها لأن الجنرال كاترو وثق علاقته بها، فهذه فرصة فرنسا لاستمالتها، وفرش لها قصرًا بنفيس الرياش...

ولكن المال الذي كانت تتقاضاه من الفرنسيين لم يكن يكفي لنفقاتها، وتنقلاتها بين دمشق وبيروت والقدس وتل أبيب والسويداء. وكان الأمير حسن يعرف أن آمال تتورط فيما لا تستطيع الوفاء به. وكان قد بدأ يشم في الأفق رائحة الغدر البريطاني بها، فخف إليها بالنصيحة، ولكنها ركلتها. وكانت تشتري بالدين كل ما تريد... ويعاودها طبع الكرم فتفرط في أعز ما تملك إذا كان أعز ما تملك سيدخل السعادة على مخلوق. جاءتها ثياب من شيكوريل إلى فندق الملك داود فانتقت أجملها ووقفت تقيسه أمام المرآة ودخلت خادم حجرتها فوقفت مبهوتة أمام جمال الثوب، ورأت الأميرة آمال دهشتها في المرآة فسألتها:

– ماذا بك يا فتاة؟

– عمري يا أميرة ما رأيت أجمل من هذا الثوب.

فخلعت الأميرة الثوب وقدمته للخادم وهي تقول لها:

– إذن خذيه هدية مني

وفتحت الفتاة فاها بالدهشة غير مصدقة. من يصدق أن امرأة تهدي ثوبًا جاء لها خصيصًا من القاهرة. وأي ثوب؟ ثوب لا يقل ثمنه عن مائة جنيه في وقت فيه الجنيه جنيه! فعقدت الفتاة يديها على صدرها حتى لا تترك نفسها على سجيتها فتختطف الثوب من يد الأميرة. هنا انتهرتها الأميرة قائلة:

– قلت لك إن هذا الثوب لك.. خذيه.. مبروك عليك

وأخذت الخادم الثوب وهي تبكي بدموع العرفان والتأثر! وآثرت آمال الإقامة في فندق الملك داود بعيدًا عن دمشق.

وأقبلت الملكة نازلي في تلك الأيام مع الأميرات، وكانت غاضبة من الملك فاروق، الذي كان قد اكتشف علاقتها بأحمد حسنين فعارض فيها وضيق الخناق. وكانت آمال تشغل الجناح الملكي في الفندق فأين تقيم الملكة؟ وتهيب رجال الفندق الاتصال بآمال لتتخلى للملكة عن جناحها.

فتطوع واحد من حاشية الملكة بمخاطبةآمال في هذا الموضوع. أما آمال فقد استقبلته بكرم عربي أصيل وقالت له:

– إنني سأتنازل عن جناحي لا لأن البروتوكول يحتم هذا، بل لأن الملكة هنا ضيفتي!

وحملتها الملكة نازلي جميلًا لآمال، وكانت كلما مرت بصالة الفندق ورأت آمال حيتها، والأميرات يبتسمن لها فبعضهن رآها من قبل في الحفلات الملكية وطرب لها وهي تنتقل في الغناء من العربية إلى الفرنسية. وتوافد على الفندق عظماء كثيرون من أصدقاء الملك ليحاولوا التوفيق بين الملكة وابنها ولكنها رفضت. وكانت آمال تسمع كل ما يدور بين الوسطاء من مفاوضات لأنها كانت تدعوهم إلى مائدتها.. الأمر الذي أحنقهم جميعًا. إن الملكة نازلي رفضت الحراسة التي قدمتها لها السلطات البريطانية خوفًا على حياتها، لأنها آثرت حرية التنقل على الحركة مع الرقيب، وكانت تختلف دائمًا إلى تل أبيب فتمضي هناك سهراتها وتعود مع الخيوط الأولى من الفجر!

وصانت آمال كل ما سمعت من أسرار.. أسرار بعضها يندى له الجبين، فقد كانت تعتبر الملكة رمز مصر، وكم كانت مصر كريمة وبارة بها، فكيف لا تصون ما تسمع وكيف لا تدخر ما يقال؟

عندما أحس الجنرال بصأنه مضى إلى التخلص من آمال بسرعة أدرك أنه أقدم على خطأ قد يجني وحده ثمرته! فحاول أن يتدارك الخطأ.

وكان قد عمل على نقل الضابط الذي يتتبع آمال كظلها فحلا له أن يحل محله في لعبة المتابعة... وكانت آمال تنفر من خبث بص، ولا ترتاح إلى دهائه الشديد الذي آمنت أنه يستطيع أن يكون مدمرًا أيضًا، فلم يبد عليها الارتياح لهذه الصداقة الفجائية، وقال لها مرة:

– عندما تنتهي الحرب ستعرفين كم يقدر لك الإنكليز صنيعك .سأطلب لك مقابلة مع جلالة الملك جورج السادس، وألتمس لك وسامًا، وستحملين لقبًا!

فهزت رأسها وقالت وهي لا تبالي، أو وهي تستبعد أن تنتهي الحرب لصالح الحلفاء:

– عندما تنتهي الحرب!

فأحساالجنرال بص المعنى الذي تريده. وتوجس خيفة من المرأة الماكرة!

ولكن الضائقة المالية وضياع النفوذ لم يكونا وحدهما نسيج الأحداث التي تتابعت بعد ذلك. فقد كان وعد الإنكليز للسوريين هو إعطاءهم الاستقلال الكامل، وهو وعد كانت آمال تحمله فيما تحمل من وعود إلى الجبل. وقد انضم جبل الدروز إلى سوريا فضلًا عن جبل العلويين، وكان ينبغي أن يسري وعد الاستقلال للثلاثة ولبنان. وقام الأحرار في سوريا الموحدة ولبنان للمطالبة بتنفيذ الوعد فبدا للمطالبين بالحق المقدس أن

إنكلترا تخون كلمتها ولا تنوي الوفاء في تلك الظروف! وأحنق هذا زعماء البلاد. وعلمت به آمال فكرهت من الإنكليز أن جعلوها أداة للتغرير بالشعب السوري. وتحسست موقف الفرنسيين من القضية فوجدتهم أكثر طمعًا من الإنكليز في فرض سيطرتهم على تلك الربوع الغنية بالخير والرجال والمواقع الإستراتيجية لأنهم – أي الفرنسيون – يعتقدون أنهم أصحاب الحق في تلك البلاد قبل إنكلترا، وتأكد لآمال هذا لأن الفرنسيين كانوا يمدونها بالمال ويغرونها بالدعوة لهم دون علم من أصدقائها الإنكليز.

تكشف المستور وبانت الخطة وأصبح يقينًا عند آمال أن الإنكليز والفرنسيين حليفان ضد النازية ولكنهما خصمان في سوريا ولبنان. وقد تجمعت لديها أسباب الحقد عليهما معًا فلماذا تظل على عهد الوفاء مع أنهم نقضوه؟ ولماذا تبقى على طبع الإخلاص مع أنهم غدروا بها وتخلوا عنها وتركوها للاتهامات الطاحنة؟

وتجاوبت في نفسها أصداء ترددت بين الشباب الناهض في الشرق العربي.. ذاك الشباب الذي أراد أن يرحب بمقدم الجيوش النازية للتخلص من الاستعمار الإنكليزي والفرنسي، على أن يكون ثمن الترحيب الاستقلال الكامل..

وكان ثمة صحفي أمريكي يتردد على آمال في فندقها أو قصرها أو حيثما تكون، ويغريها بالتعاون معه بعد أن صارحها أنه يعمل لحساب

المحور، وكانت الولايات المتحدة على حيادها إلى ذلك الشهر – تشرين الأول ١٩٤١ –وتركيا أيضًا كانت دولة محايدة. وقد عرض الصحفي على آمال أموالًا طائلة، وقال لها إن خطة العمل ستبدأ إذا ذهبت آمال إلى سفير ألمانيا في أنقره – فون بابن – الذي اشتهر بالذكاء المفرط في توجيه الجواسيس والإفادة منهم.

وفي الوقت الذي كانت آمال تريد فيه المال لتسدد ديونها كانت تريد حقيقة وعن اقتناع أن تقبل الجيوش النازية فتحرر بلادها، لا مفر من الاستعانة على الأعداء بألد عدو لهم. والجيوش النازية التهمت أوروبا وكأنها طبق شهي، فلماذا لا تلتهم الشرق الأوسط ويستتب لها الأمر ثم تفي بوعودها مع من يمكنون لها من النصر وتعطي هذه البلاد حرياتها السليبة؟

أما الصحفي الأمريكي فإنه ما كاد يحس تبدلًا في عقلية آمال التي طالما أغراها دون طائل حتى آثر أن يطرق الحديد وهو ساخن، فأطنب في الإغراء وأفاض ورأس آمال يكاد ينفجر من التفكير في موقفها، واستعادة ذكرياتها المريرة الرائعة مع الحلفاء.. حين دخلت جبل الدروز فحصلت على إجماع شيوخه، بل وحصلت على العرائض منهم بتأييد الإنكليز، وحين صدر عليها حكم الإعدام فرت على ظهر جواد عبر الليل الأسود الطويل، وذكريات لحظات الرعب بين الأنوار الكشافة والبرية ذات الأصوات الغامضة والموت يطل من فوهات البنادق في الخنادق! كل هذه

الذكريات تدافعت إلى بالها فأكدت لها أنها لم تأخذ من الإنكليز والفرنسيين حقها من الثناء والعرفان..

قالت للصحفي الأمريكي:

– سأذهب إلى فون بابن!

عقدت آمال العزم على الانضمام إلى المحور،وهو قرار اتخذته دون أن تستشير أحدًا أو تشرك معها في الرأي مخلوقًا وفي هذه الآونة كان غضب الأمير حسن الأطرش قد استبد به لأنه كان يرى زوجته تقامر وتسكر، وتعود سيرتها الأولى في القاهرة، وكلما حاول منعها أخفق. واتفق عليها مع الجنرال كاترو فراقبا تجولها وذهابها إلى تل أبيب مثلًا، فأحنق هذا آمال وزاد في غضبها على الإنكليز والفرنسيين معًا، وضاعف إصرارها على المضي فيما عقدت عليه العزم من غير تردد أو توان!

أما الأنباء التي جاءت من ميدان القتال في الجبهة الروسية فقد قالت إن القوات النازية تمضي والنصر في ركابها إلى موسكو، وتهرول إلى لننغراد وتذيق أوكرانيا الويل. لو تأدب الدب الروسي لكان عبرة لغيره ولأمنت ألمانيا شر الخطر الوافد من الشرق فتتفرغ للغرب وحده. على أن هذه الأنباء نزلت على قلب آمال بردًا وسلامًا، وزادت يقينها بأن تخطو إلى الجبهة الراجحة، والغد لها.

ورسم لها الصحفي الأمريكي خطة الذهاب إلى أنقرة، أما الحصول على تأشيرة فلم يكن فيه صعوبة كبيرة، لأن أبواب السفر إلى تركيا المحايدة مفتوحة فما بالك إذا كان المسافر الأميرة آمال الأطرش ذات الأفضال التي لا تنكر على الحلفاء!

واستقلت آمال تاكسيًا إلى طرابلس، ومن طرابلس اندست في القطار الذاهب إلى حلب وطوروس. وقد مضى القطار في رحلته ببطء قاتل توترت له أعصاب آمال، فإنها تعرف أنها لن تكون في أمان إلا إذا تجاوز القطار الحدود السورية واقتحم تركيا. وأمام كل محطة كان يقف عليها القطار كان قلب آمال يقف مع القطار فيها. فتظلتفحص كل الوجوه الرائحة والغادية على الرصيف من وراء طرحتها البيضاء. ثم ترقب من طرف خفي كل صاعد إلى القطار وكل وافد جديدثم أحست أنها تحمل أعصابهافوق ما تطيق فاستكانت إلى الصبر والشجاعة ورفضت أن تنظر إلى الساعة في يدها فإنها تتخيل أن عقاربها تمضي في بطء وعناد معًا! وبلغ القطار محطة حلب!

وحلب مفتاح الشمال، وبلوغها يدعو إلى الاطمئنان لأن الحدود وشيكة، وقد طال فيها وقوف القطار حتى نزل الرعب في قلب آمال. وتخلت عن التذرع بالصبر وتلاشت شجاعتها وتخيلت نفسها أسيرة في يد الإنكليز أو الفرنسيين إذ ذاك لن يرحموها ولن يهادنوها. لقد فرت من حكم الإعدام مرة ولكن ليس كل مرة تسلم الجرة. لو صدر عليها حكم الإعدام بعد القبض عليها فإن الإعدام واقع لا محالة لأن الفرار معجزة،

وقد انتهى عصر المعجزات. وهي لا تستطيع التعويل على الدروز فإن البلاد في حالة احتلال والأحكام العرفية لا تعرف الرحمة مع من يشقون عصا الطاعة على المحتل.

ومثلما يحدث كلما أحدق بها الخطر دقت رأسها نبوءة المنجم، لكم تكره هذه النبوءة واقتحامها كل خلوة لها وكل تأمل فتثبت دعائم الخوف في نفسها، وتوغل جذور الرهبة في قلبها. وتاقت لو ضمت كاميليا إلى صدرها، فصورة كاميليا هي التي تتصدر كل الصور كلما أحدق بها الخطر أو لاح شبح النهاية. ولكن الإعدام سيعترضه شيئان. إنها لا تحمل أي وثيقة في حقائبها أو ثيابها.. وإنها ذات صفحات ناصعة مع الحلفاء. أما الظرف الأول المخفف لجريمتها فقد قضت عليه بقولها إن من سيصدر الحكم عليها سيقول إن الوثائق في رأسها لأنها تعرف كل شيء وتختزنه في العقل والذاكرة. ثم ركلت الظرف الثاني المخفف لجريمتها حين أصرت على أن زمن الحرب لا يعرف المجاملة. وأن التقليب في الماضي ليس من شيمة القضاة العسكريين الإنكليز أو الفرنسيين!

ثم قالت لها الحاسة السادسة بعد هذه الخواطر إن الخطر على الأبواب! وقد كان صحيحًا ما شفت عنه حاستها، إذ سمعت قرعة الباب صالونها فلم تجب. وفتح الباب وبرز من خلفه ضابطان بريطاني وفرنسي وهي تعرف الاثنين فقد تعاونا معها في وقت من الأوقات، ورمقتهما بنظرة سريعة وهي تتمسك بأهداب الشجاعة... وطلبا إليها جواز السفر فأبرزته دون أن تنطق. وتظاهرا بأنهما يتأكدان من الصورة ثم قالا:

– هيا معنا!

– إلى أين؟

– ستذهبين إلى بيروت!

– ولكني أريد الذهاب إلى أنقره. لقد أخذت تصريحًا بذلك!

كانت تجادل لتثبت أنها بريئة مما ينتوون رميها به. وكانت تعرف أن الجدل لن يجديها فتيلًا فقد وقعت في الفخ ولا مفر لها من الإذعان. ولطالما أصدرت الأوامر لهذين الضابطين فإذا بالدنيا تدور وهما اللذان يصدران إليها الأوامر. فطالعتهما بنظرة قوية من نظرات زمان وهما واقفان وعلى وجهيهما إصرار شامل، وسادت فترة صمت واستمرت لثوان فصرخ القطار لأنه يريد الرحيل، إذ ذاك قالا:

– أنت تضيعين وقت الركاب جميعًا. إن أي شيء تعملينه سنقابله وبالعنف فيتضح كل شيء، هيا والزمي السكينة والعقل معًا!

فقالت في مكابرة مع أنها مغلوبة على أمرها:

– سأنزل وأعرف شغلي مع من أرسلكما:

وغادرت القطار وقد ران عليها الحزن ممزوجا بخيبة الأمل. يا لشماتة الأمير حسن الأطرش.. كم نصحها فسخرت من كل نصائحه فهل

تستنجد به؟ وهل يخف إلى نجدتها؟.. إنها على أي الأحوال زوجته، وقد خف إلى نجدتها وهي مطلقة ولن يتخلى عنها إذا كان الموقف أدعى للنجدة. سيطلقون سراحها حتمًا مقابل خدماتها، فليكن إطلاق السراح هو الوسام الذي لوح به بص..

وضحكت لهذا الخاطر في سرها، وجرت على لسانها أغنيتها المشهورة "يا حبيبي تعال الحقني شوف اللي جرى لي" فقمعت الأغنية فإنها لا تناسب المقام. فطرقت رأسها أغنية يا ديرتي ما لك علينا لوم... لا تعتبي لومك على من خان. الحمد لله أنها لم تخن، إنها تعاونت مع الحلفاء لكي تضمن سلامة قومها وبلادها. فلما وجدت السلامة والحرية في ظل الحلفاء سرابًا آثرت أن تنضم للمحور سعيًا وراء السلامة والحرية. وجيوش المحور الجرارة ستقبل ستقبل.. تمامًا مثلما كان محتومًا أن تقبل جيوش الحلفاء. ومخزن ١٣ الرهيب سيفتحه هتلر يومًا ما ويبيد به الأعداء إبادة حاسمة. لن يباد أهلها ولا وطنها إذا حالف المحور. وهي أمام التاريخ ليست مجرمة فيما أقدمت عليه. وإدانة الحلفاء لها إكليل غار تضعه على مفرقها.. ستقول عنها الأجيال المقبلة إنها المغنية التي اقتحمت النارلتنقذ وطنها. اقتحمت النار مرتين، ولو قدر لها أن تعيش لاقتحمت النار عشر مرات أخرى، ولتحالفت لا مع الحلفاء فحسب ولا مع المحور وحده إنما مع الشيطان أيضًا!

وحزنت لأن أحلامها بالمجد في العملية الجديدة ذابت تحت وطأة الأفكار القاسية، بل تحت واقعها المرير إذ تجلس بين ضابطين يقودانها إلى

مصير لا فكاك منه، وتشعب في الحنايا شعور الحزن لأنها لم تستطع أن تحقق انتقامها من الإنكليز والفرنسيين. ها هي تعود إليهم تجرر أذيال الخيبة وتسمع التقريع.. ثم يجيء بعده حكم الإعدام!

وبلغت بيروت وهي تتحاشى النظر إلى وجوه الناس، ولكنها ذهلت ذهولًا عظيمًا حين توقفت السيارة أمام الفندق فلفظتها هناك وتركها الضابطان دون أن ينبسا بكلمة واحدة.

أسلم هذا التصرف آمال للحيرة الشديدة. لم يخطر ببالها قط أن تكون هذه هي خاتمة القصة. واكتنفتها السكينة الظاهرة وهي تلزم الفندق يومين، وغشيتها طمأنينة زائفة لما حولها من هدوء. ثم ظنت أنه الهدوء الذي يسبق العاصفة وتمنت لو وقع البلاء فتستريح لأن وقوع البلاء خير من انتظاره.

ولما لم يطرق عليها الباب أحد بتفسير لما حدث خرجت إلى المجتمعات والسهرات والتقت صدفة بالجنرال بص. ولاحظت أنه يتحاشى التحدث إليها. وضيقت عليه الخناق فقال لها:

– نحن راعينا خدماتك. ولم نغفل من حسابنا زوجك!

وكان الأمير حسن الأطرش قد تقلد منصب وزير الدفاع في الحكومة السورية. وكان الجبل يقف وقفة الصمود من خلفه بسلاح ثقيل سلحته به

بريطانيا حتى يقاتل في صفها، إذا دق ناقوس الخطر في تلك الربوع. والحكم على أميرة الجبل، أي حكم سيقلب الموقف رأسًا على عقب!

وانطلقت آمال في حياتها الجديدة. ازداد تقرب الفرنسيين إليها، ولكنها بدت في الوقت نفسه عاجزة عن العمل الحاسم، وعادت إلى الوساطات فتفتحت لها الأبواب على استحياء وفي حذر. وكان أشهر عملية شفاعة ما فعلته للتاجر الأرميني أبروأبرويان الذي استقدم إلى بيروت سفينة محملة بالبضائع، وما إن بلغت السفينة الميناء واستلقت على الشاطئ حتى استولت عليها السلطات البريطانية بدعوى أن السلع التي عليها تساهم في المجهود الحربي، وطار صواب الرجل فأشار عليه الناس بآمال، وكان أكثر الناس لا يعلمون ما حدث بينها وبين الإنكليز. والأميرة آمال لم ترد الرجل، إنما ذهبت إلى الإنكليز وأفرجت عن السفينة!

وكان الرجل قد وعدها بهدية إذا حصلت على قرار الإفراج عن السفينة، وقد بر بوعده وذهب يحمل إليها النقود، ولكنها رفضتها وهي تبتسم. لقد كانت غارقة في الديون ولكنها لم تقدم قط على مروءة بثمن!

وانصرف الرجل ذاهلًا، وعاد بعد أيام وهو يحمل تصميمًا لقصر أنيق وقال لآمال إنه سيشيده لها في قمة عالية مطلة على بيروت من على هامة جبل لتمضي فيه ليالي الصيف. فتأملت تصميم القصر بإعجاب ثم قالت:

– قصر جميل لولا أنه من المروءة!

رفضته برقة وخرج الرجل ليبنيه وليقسم على أنه سيقنعها به! وعندما خرج الأرميني المذهول من عندها أقبلت خياطة غاضبة، فمنذ شهر كامل وهي تطالب بمالها والأميرة تسوف وتبدي أعذارها! وعادت إلى حياة الليل!

واستشاط الأمير حسن غضبًا، فهو وزير حربية سوريا، وزوجته لا ترعى اسمه ولا منصبه. وذهب إليها يحاول إقناعها بالعودة معه فأبت. وطلبت أن تسافر إلى القاهرة لترى كاميليا التي ذهبت إلى جدتها فعاملها معاملة المثل وأبى. وبدا العاشق الراضي بقسوتها متمردًا وعصيًا فارتاعت لهذه الحقيقة.. وتذكرت فؤادًا. لو جاء فسينضم إلى صف الأمير حسن دون جدال.. فبمن تلوذ؟

وضاقت الدنيا في عينيها، وشربت ليلتها من الخمر ما يذهب صواب كتيبة رجال، وعجبت صديقاتها من بنات الأسر اللبنانية لمقدرتها على احتساء الخمر، وتركنها تصعد إلى غرفتها وهن يقلن إن ثمة شيئًا غير عادي يفرض وجوده عليها!

أما آمال فكانت قد اختمرت في رأسها فكرة. فكرة اختمرت من قبل مرتين، وفشلت في المرتين ربما لأن أسباب الاقتناع بها لم تكن متوافرة، أما هذه المرة فالأسباب أقوى من أن تدع للتردد أو الإبطاء سبيلًا إلى نفسها. فكرت في التخلص من الحياة بعد أن فقدت كل شيء. ونفذت ما اعتزمت ولكن الموت في هذه المرة كان عصيًا لأن الصدفة ساقت لها خادم

حجرتها في فندق الملك داود.. تلك التي أهدت إليها ثوبها الأنيق. وصرخت الخادم صرخات ملتاعة، جمعت حول جسد آمال الساجي على الفراش كل من حولها في الفندق وبينهم طبيب.

وعادت إلى الحياة من منتصف طريق الموت، وحزن الأمير حسن على عنادها الذي يورثها المتاعب فضلًا عن الزهد في الحياة كلها. وأقبل فؤاد من القاهرة، وفي صدره غضب. إنها لا تريحهم في القرب أو البعد، ولا تتركهم لراحة البال على أي من حالي الثراء أو الإفلاس. ليس من سبيل إلى إغرائها بالاعتدال أو إقناعها بالحرص، كسبت عشرات الألوف فبددتها وصار رصيدها ديونًا بمئات الجنيهات. لو أعطوها مال قارون لأنفقته في سفه ليس له ضريب، أولى بالأمير حسن أن يأخذها قسرًا إلى الجبل، ولكنه أمامها قليل الحيلة والوسيلة، فهل يستطيع العودة بها إلى القاهرة؟.. ووجدها فؤاد على فراشها والصفرة تغشى وجهها المضني، وعيناها ساهمتان وكأنها تتابع بهما صورة لا يراها أحد سواها. ورحبت به بابتسامة باهتة، فلم يرحمها وإنما اتجه إلى موضوعه مباشرة وشرع في إقناعها بالعودة إلى الجبل، أما حديث فؤاد عن الجبل فإنه يعيد إلى الذاكرة ذكريات ست سنين من الذل والحرمان، ينبغي لفؤاد أن يسكت فإنها لن تلدغ من جحره مرتين، زواجها بالأمير حسن كان لغاية وقد استنفد الزواج أغراضه. لقد كتبت لقومها السلامة وأدت الرسالة ومن حقها أن تنعتق من عبودية الزواج بالأمير. كل الزيجات السياسية تنتهي إلى الخيبة، فلماذا يؤمل الناس غير هذا لزيجتها؟ أخلق بك يا فؤاد أن تطوي الصفحات التي تريد أن تنشرها ولتعلم أن مركزي وجهادي وبطولاتي لا تسمح لك أن تخاطبني بلهجة

الأمر بل لهجة النصح، إنني أعرف ماذا أفعل بدليل أنني دخلت التاريخ دون أن تكون معي!

وارتسم أكثر هذه الخواطر على وجهها، وقرأ فؤاد أفكارها فوفر على نفسه المشقة، أما الأمير حسن فقد قطعت قسوتها عروق المحبة في قلبه، فأسالت كل الدم واستراح وراجع كل ما فعله من أجلها ووضعه في كفة أمام كل ما فعلته من أجله فوجد نفسه الخاسر على طول الخط، المغبون من البداية إلى النهاية، ووضعه الجديد أوقعه في حرج شديد. إنه وزير الحربية فماذا يقول للناس إذا فعل الحلفاء فعلة غير حميدة بزوجته، وإذا عاودت زوجته الاتصال بالمحور؟

قطع الأمير حسن برأي في مشكلته. وفوجئت آمال بالأمير حسن يقتحم حجرتها بالفندق ويلقي عليها يمين الطلاق! أما فؤاد فقد عاد إلى القاهرة ونفض يديه من كل شيء! وبدت الحياة لآمال خاوية فارغة، ولم يعد ثمة ما يربطها بالقدس أو بيروت أو دمشق. عملت كل شيء وفقدت كل شيء. وكسبت الألوف وباءت بالديون، وكان ينبغي أن تفكر في وسيلة تسد بها الديون قبل الرحيل.

والتقت مصادفة في فندق الملك داود حسين سعيد، خال الملكة فريدة، وكان مديرًا لشركة مصر للتمثيل والسينما التي تملك أستوديو مصر. وكان الأستوديو على شفا الإفلاس بعد أن أنتج عددًا من الأفلام الفاشلة. وكان يعلم كم من الألوف درها فيلم انتصار الشباب لمنتجه

تلحمي رغم أن أسمهان فيه جديدة، فكم يدر فيلم تقوم ببطولته أسمهان بعد هذه الغيبة الطويلة عن جمهورها بدورها في الشرق الأوسط ذلك الدور الذي لا يعرف الناس محتوياته وإن كانوا يعرفون عنه أنه بطولة شاملة!

جلس حسين سعيد إلى أسمهان يفاوضها في العمل ويغريها بالأسباب التي قد تغالي بها في الأجر، ولكنه –كاقتصادي درس السوق – كان يعرف أن أي رقم ستحدده أسمهان لن يؤثر على المكسب المأمول من فيلم تقوم ببطولته. وطلبت أسمهان أجرة لم تعرفه السينما من قبل طلبت سبعة عشر ألف جنيها، فطارد حسين سعيد دهشته وفكر مليًا، ولكنه لم يتردد في إعلان نتيجة تفكيره. قال:

– اتفقنا!

وعلم بديونها فوافق على أن يحول إليها سبعة آلاف جنيه عربون الاتفاق. وعاد إلى القاهرة ومعه طلب تأشيرة دخول منها. ينبغي أن تعود.. ها هي الأسباب تتجمع لتجعل العودة ضرورة محتومة.

لم يترك الإنكليز والفرنسيون آمال دون رقيب. فإنهم يعرفون ذكاءها وطموحها وإسرافها، ويخشون أن تعود إلى محاولة التعاون مع أعدائهم. وكانت سلسلة الأسرار التي أفشاها الجاسوس شيشرون، ذاك الألباني الأصل الذي كان يعمل خادمًا للسفير البريطاني في أنقرة وكان عميلًا للسفير الألماني فون بابن. كانت سلسلة الأسرار هذه تؤكد للحلفاء أن

جهاز الجاسوسية النازي جهاز خطير، ومن هنا يجب مواجهة كل الاحتمالات بنفس الحرص الذي تواجه به الحقائق الثابتة!

وكانت خيانة آمال للحلفاء بعد ضبطها احتمالًا، ولكن الحلفاء عدوها حقيقة ثابتة. وأحست بالحصار المضروب حولها في فندق الملك داود، فذهبت إلى بيروت في انتظار أن تصلها تأشيرة الدخول إلى الأراضي المصرية. وفي بيروت أقامت في قصرها الذي أهداه إليها الفرنسيون، وكان يتناثر حوله بعض الحرس فيعيدون إلى ذاكرتها أيام المجد. وقد نامت في فراش وثير تجتر شتيت الذكريات. وتسلل النوم إلى جفونها، وما مضت ساعة إلا وصحت مذعورة على رنين التليفون. فقامت من فراشها لتجيب، ووقفت بجانب طاولة صغيرة يستقر عليها جهاز التليفون. ولكنها أحست دوارًا من يقظتها المباغتة فلامست الطاولة بيدها واتكأت عليها وهي تقول:

– آلو...

لم يجب أحد. وكررت النداء فلاذ الطالب بالصمت العميق، ونظرت إلى ساعتها فوجدتها الثانية تمامًا، وشرعت في وضع السماعة على الجهاز حين سمعت صوت طلقة تخترق نافذة خشبية تواجهها وتمرق بجانب أذنها وترتطم بالحائط!

واستلقت آمال على فراشها بسرعة خاطفة خشية أن تتابع الطلقات. وكان الرعب يعصر قلبها عصرًا وهي تحس صوت الرصاصة

يخرق طبلة أذنها. لو كانت واقفة ولم تستند إلى الطاولة لنفذت الرصاصة في وجهها من منتصفه وحققت الغاية منها. وحسبت ببساطة أن الذي طلبها ضالع مع الذي أطلق الرصاص. اتفقا على الثانية تمامًا، فيدق أحدهما التليفون بينما يقبع الثاني في حديقة القصر حتى إذا سمع رنين التليفون انتظر أن ينقطع الرنين دلالة أنها بدأت تجيب فيطلق الرصاص! بل لا بد أن الذي دبر الخطة عرف موقع حجرة النوم، بل واقتحمها وعرف موقع التليفون منها، ثم قدر الأبعاد واختار النافذة التي يطلق عبرها رصاصه..

وتفصد جبين آمال بالعرق من هول الموقف، وانتظرت أن يدق التليفون من جديد ولكنها قررت ألا تجيب، وخطر ببالها أن تندفع إلى الحديقة فتستغيث بالحراس ليقبضوا على الجاني قبل أن يفلت، ولكنها صرفت نظرها عن الفكرة إذ أدخلت في الحسبان أن استدراجها إلى الحديقة قد يكون جزءًا مكملًا للخطة فتقتل قبل أن تستغيث... ولزمت موضعها من الفراش متخاذلة لا تستطيع الحركة. وعجبت للموت لا يجيء حتى ولو قصده بنا الآخرون. وتذكرت شروعها في الانتحار منذ أيام وكيف فتحت لها الأقدار طاقة في السماء فجاء حسين سعيد من القاهرة واتفق معها على الفيلم وفك ضائقتها. ستعود لتغني وتسهر الليل وتعب من متع طال إليها الشوق واستبد الحنين!

وعجبت لنفسها تفكر في هذا كله وخطر الموت محدق بها. فلما أحست أن وقتًا كافيًا قد مضى زحفت كي لا ترتفع قامتها إلى مرمى الرصاص يخترق النافذة، وأمسكت جهاز التليفون وطلبت الجنرال

كاترو... وارتاع كاترو لما روت آمال. وأرسل ضباطًا يعاينون مكان الحادثة .أما الحراس فقد ادعوا أنهم لم يسمعوا شيئًا. ولولا أن المعاينة أثبتت اختراق الرصاصة خشب النافذة لرموا آمال بسعة الخيال والخبال!

لم يسفر التحقيق إلا عن حقيقة واحدة وعتها آمال واستوعبتها. إن بقاءها في بيروت غير مرغوب فيه! فلا يستبعد أن يكون الفرنسيون والإنكليز معًا دبروا الحادثة. بل لا بد أنهم فعلوا ذلك ليتخلصوا منها ويستريحوا.

ضاع جميلها وداسته الأقدام بالنكران، وينبغي لها أن تقطع صلتها بهما معًا. وفكرت في الذهاب إلى دمشق، ولكن ماذا يبقى لها هناك؟ العز ولى والجاه طويت صفحته وزوجها الأمير الوزير فعل ما لا تتوقع وأصاب كبرياءها. وأحست طعنة وهي تتذكر يمين الطلاق التي ألقاها عليها في الفندق. رضينا بالهم فلم يرض بنا. الحرية خير من الحبل، والقاهرة أعز من القصور التي تتحول إلى سجون أو قبور!

وعادت إلى فندق الملك داود في القدس.، وسألت إن كان ثمة أخبار أو برقيات من القاهرة فلم تجد شيئًا. فكتبت خطابًا إلى فؤاد: "أريد العودة إلى القاهرة فليس عندي سبب واحد للبقاء هنا. اتفقت مع حسين سعيد للعمل في فيلم غنائي مع يوسف وهبي وأعطيته طلبًا ليحصل لي على تأشيرة دخول فاذهب إليه واعرف ماذا فعل. واعملا سويًا لكي أحصل على التأشيرة في أقرب فرصة"

أما فؤاد فقد تلقى الخطاب وقرأه في ذهول. ها هي تنوي العودة فليستعد للمتاعب. مطلقة مرة أخرى وحرة وكم يشقى بطلاقها وحريتها! وكانت قد روت له قصة إطلاق الرصاص عليها فارتاع لهذا الأمر وعرضه على فريد والأم فحزن فريد وأقامت الأم مناحة. عاد فؤاد وليًا للأمر رضي أم أبى. ها هي تلوذ به فلعلها لا تضحك منه فريدًا إن عادت. سيساعدها فهي شقيقته والمساعدة واجب لضمان سلامتها فقد تتكرر حادثة إطلاق الرصاص عليها...

ونسي فؤاد ما فعلته آمال بالشجرة الأصيلة، وتحرك في قلبه حنان جارف إليها، فقصد إلى حسين سعيد يسأله ماذا فعل. وروع حين قال له حسين سعيد:

– وزارة الداخلية لا تريد السماح لأسمهان بالعودة!

***

هذا الفصل اخترناه من كتاب "فؤاد الأطرش يروي قصة أسمهان"، كتبها فوميل لبيب ، وقد صدر عام في بيروت عام ١٩٦٢ والكتاب يعد وثيقة مهمة تضيء جوانب كثيرة من حياة أسمهان .

## كاميليا .. ابنة أسمهان :

"حادث وفاة أمي ليس مدبّراً وكل الشائعات غير صحيحة"

- **هل ملامح شخصية "أسمهان" كما صوّرها المسلسل هي ملامح شخصيتها الحقيقية بالفعل؟**

كنت صغيرة جداً عندما انفصلت عن والدتي وأيضاً عندما توفيت، فلا أذكر الكثير عن شخصيتها ولكن، وعلى حسب ما سمعته من العائلة ومن أخوالي هو أنها كانت تحب الحياة والنزهات والسفر والسهر، ولكن ليس بالطريقة المبالغ فيها التي أوردها المسلسل.

- **-ولدت في مصر وعاشت فيها بعيداً عن والديك وهذا ما لم أفهمه، لماذا عشت بعيداً عن والديك؟**

ورد في المسلسل أو أول ما شعرت والدتي بالحمل حاولت تكراراً ومراراً الإجهاض حتى في سوريا ومصر، كما حاولت الإجهاض وهي في الشهر الثامن، وهذا كله غير صحيح، لأني لست أول طفلة ل"أسمهان" بل هي رزقت من قبل بولد ذكر ولكنه لم يعش إلا سبعة أشهر ثم حملت مرة ثانية فولدت بنتاً ولم تعش أيضاً إلا ثمانية أشهر، وعندما حملت بي خافت أمي على نفسها وعليّ فسافرت إلى القاهرة وهنا قالت لها جدَّتي علياء أنها هي هذه المرة ستتولّى تربيتي حتى لا يتكرر ما حصل مع شقيقي وشقيقتي ،

لذلك تركني والداي أتربى في مصر وكتب الله لي العمر لأعيش، إذاً ما أورده المسلسل عن رغبة والدتي في الإجهاض أول ما عرفت أنها حامل غير صحيح أبداً، إذ كيف تفعل ذلك وهي التي حملت مرتين من قبل أن أُولد.

وهكذا تربّيت عند جدّتي وكانت تسكن في بيت في منطقة "الهرم"، ومازلت أذكر حديقة المنزل وكنت دائماً مع والدتي في القاهرة نقوم بنزهات كثيرة معاً، وكانت تهتم بي كثيراً عكس ما صوَّره المسلسل. وبعد طلاق والديّ كنت مازلت مع أمي، وفي أحد أسفارها إلى فلسطين أخذتني معها ونزلنا في فندق "King David"، وكان عمري وقتها أربع سنوات، فإذا بخالي منير الأطرش، الأخ غير الشقيق لوالدتي، يصل إلى القدس بطائرة هليكوبتر مع ثلاثة ضباط إنكليز ويأخذني عنوة من والدتي، ومازلت أذكر حتى الآن كيف كنت أبكي وأشدّ بشعر خالي منير وأنا أقول له: "بدّي ماما"، وركبنا الطائرة وأخذني خالي إلى بيت والدي في سوريا، ولم أرها بعد ذلك إلا مرة واحدة عندما توفى جدّي الأمير فهد الأطرش فجاءت والدتي لتشارك في العزاء وكنت أسكن وقتها في بيت والدي وهو البيت الذي صوّره المسلسل في دمشق، وكنت وقتها مصابة بالحصبة فدخلت غرفتي ومازلت أذكر أنها جلست إلى جانبي لمدة ساعة تدللني وتسألني عن أحوالي ثم ودّعتني، ومن يومها لم أرها أبداً.. أنا ولدت في الرابع عشر من تموز "يوليو" ويشاء القدر أيضاً أن تموت والدتي في نفس هذا اليوم.

- **كيف تلقيت خبر موت والدتك؟**

كنت في "السويداء" في جبل الدروز، وكان والدي يقيم حفلة بمناسبة عيد ميلادي فإذا به يتلقّى اتصالاً من القاهرة وتمّ إبلاغه أن والدتي توفيت إثر حادث غرق سيارتها في الترعة، ويومها أبلغ والدي الخدم الموجودين في البيت أنه لو أخبرني أحدهم بموت والدتي فإنه سيتم طرده، وكنت وقتها في السابعة من عمري. وفي نفس العام، أي مع بداية العام الدراسي في شهر تشرين الأول "أكتوبر" سجّلني والدي في مدرسة داخلية في بيروت "البيزونسون" وهناك كنت أسمع صديقاتي يهمسن لبعضهن: "حرام كاميليا أمها ماتت"، وأذكر أنني وقتها بكيت كثيراً وصرخت كثيراً.

- **كم دام زواج والديك الأمير حسن الأطرش وأسمهان؟**

أول زواج دام أربع سنوات ثم طلّقها، ونحن عندنا في الطائفة الدرزية إذا طلّق الرجل زوجته ممنوع عليه أن يرجعها مرة ثانية إلى ذمّته، ولكن والدي ذهب إلى شيخ العقل واستطاع أن يستحصل منه على إمكانية إرجاع "أسمهان" إلى ذمّته، وهذا ما حصل فتزوّجها وعاشا عدّة سنوات إلى أن طلّقها مرة ثانية.

- **كيف كانت شخصية والدك الأمير حسن الأطرش؟**

كنّا كلنا نخاف منه، كان شجاعاً مقداماً، كريماً وجميلاً. انظري إلى صورته، وقد أحب والدتي بشكل كبير حتى أنه ظلّ يحتفظ بصورتها أمام

سريره حتى بعد أن طلّقها وتزوج غيرها مرتين، فصورتها ظلّت إلى جانب سريره حتى وفاته، والممثل عابد فهد فيه شبه من والدي ولكن والدي أجمل.

- **ماذا كان يخبرك والدك عن والدتك؟**

– لا شيء.

- **ألم تحاولي مرة أن تسأليه عنها؟ أن تذكريها أمامه؟**

كنت أخاف أن أسأله عنها، وهو لم يذكرها أمامي أبداً، كنت أنا في المدرسة الداخلية في بيروت وكنت أذهب لزيارة والدي في إجازة عيد الميلاد وإجازة عيد الفصح وفي العطلة الصيفية ولم نكن نتحدث عن أمي.

-**كيف كانت علاقتك بزوجة أبيك السيدة ليندا جنبلاط شقيقة الزعيم الراحل كمال جنبلاط؟**

كانت علاقة طيّبة.

- **ألم تكوني تتحدثين عن والدتك مع أحد؟**

– لا كنت فقط أتحدث مع أخوالي عنها، خصوصاً مع خالي فريد، ولكن قليلاً ما كنّا نتحدث عنها.

- **هل اهتم أخوالك بك بعد وفاة والدتك؟**

أخوالي دلّلوني بعد وفاة والدتي، وكانوا يزورونني دائماً في المدرسة الداخلية. أذكر أن خالي فريد كان يزورني مع سامية جمال وكان يحمل لي الهدايا وأذكر منها جاكيت فرو، وأيضاً كان خالي فؤاد يزورني ويحمل لي الهدايا وكذلك خالي منير.

- **في المسلسل ظهر خالك فؤاد قاسي القلب، عنيفاً ومتسلطاً؟**

أنا لا أعرفه هكذا أبداً، وأعتقد أن تصويره بهذا الشكل فيه مبالغة كبيرة، معي كان طيباً جداً، مع شقيقته "أسمهان" لا أعرف تفاصيل علاقتهما، وما أشاهده من ضرب وعنف في المسلسل، لا أعرف عنه شيئاً.

-المسلسل اعتمد على رواية "أسمهان لعبة الحب والمخابرات" هل جاء أحد من أفراد المسلسل أو كتّابه ليسألونكم عن معلومات وتفاصيل عن حياتها أو بحثاً عن صور لها؟

أبداً، لم يسألني أحد أي شيء، وأذكر أيضاً أن الصحفي مُحَمَّد التابعي أصدر كتاباً عن أسمهان بعد وفاتها، فرفع خالي فريد دعوى قضائية حينها وكسبها وتمَّت مصادرة الكتاب.يحكي الكثير عن والدتي ولكن الحقيقة أنها سيدة مميَّزة جداً.

- **في طفولتك افتقدت لحنان الأمومة؟**

عانيت كثيراً في طفولتي بسبب فقدان حنان الأم.

**-متى عرفت بقصة والدتك وفنَّها وحياتها؟**

بعدما كبرت وتزوجت، وأنا أحب أغانيها وكنت أحتفظ بجميع أغنياتها في بيتي الذي كنت أسكنه في منطقة "غاليري سمعان"، ولكن مع الحرب الأهلية اللبنانية سُرق البيت وسُرقت الأسطوانات والصور التي كنت أحتفظ بها.

**-كانت تربطك علاقة مميّزة مع خالك فريد ؟**

بالفعل، وتأثرت جداً عندما توفى، أحسست أني أفقد آخر فرد من عائلتي، في آخر خمس سنوات من حياته عندما أقام في لبنان كنت دائماً معه في سهراته وفي كل جلساته، وكانت بالفعل من أجمل أيام حياتي، ومرة أذكر أنني استقبلت في بيتي في صوفر خالي فريد، مُحَّمد عبد الوهاب، ويوسف وهبي، وعبد السلام النابلسي وزوجته جورجيت، حقيقة كانت ذكريات جميلة.. أمي كانت سيدة تحب العطاء وتحب بلدها، رُوي لي عنها أنها أحضرت من مالها أسلحة لجبل الدروز ليدافعوا عن أنفسهم ضد المحتل، أمي كانت سيدة استثنائية سبقت عصرها، لذا عندما جاء آل الأطرش وطلبوا مني التوقيع بالموافقة تصوّرت أنهم سيفِّذون المسلسل بشكل رائع ولكن لم أتصور أن يبيع ممدوح الأطرش توقيعي.

أخبرتني السيدة سلوى القدسي خطيبة الموسيقار الراحل فريد الأطرش أنها مرة أرادت شراء سيارة سبور، أي ببابين، فاعترض فريد بشدّة وقال لها: لن أنسى طوال حياتي أن "أسمهان" توفيت بسبب ركوبها سيارة سبور، إذ أن سيارة أسمهان عندما نزلت في الترعة استطاع السائق أن ينجو بعدما فتح بابه و"أسمهان" الموجودة في المقعد الأمامي فتحت بابها، فتمسكت بها صديقتها ماري قلادة الموجودة في المقعد الخلفي الذي لا يوجد فيه باب، فكانت النتيجة أن غرقت الاثنتان، هل والدتك توفيت في حادث قضاء وقدراً أم قُتلت في حادث مدبّر؟

كانت هناك شائعات تقول أن هناك مَن دبّر لها الحادث، منهم مَن قال أم كلثوم، ومنهم مَن قال الإنكليز أو غيرهم، والحقيقة أني سألت كثيراً أخوالي عن هذا الموضوع وأكّد لي خالي فريد أن الحادث كان قضاءً وقدراً، إذ أخبرني أن والدتي كانت تريد السفر إلى رأس البحر في القطار ولكن لم تجد أماكن، وفي آخر لحظة اتخذت القرار بالسفر في السيارة، فالحادث كما قال لي خالي فريد ليس مدبّراً وكل الشائعات غير صحيحة.

**-والسائق هل كما قيل اختفى بعدما نجا بنفسه؟**

- لا، قال لي عماد ابن خالي منير أن السائق ذهب عند أخوالي وأدخلوه المستشفى وعالجوه، إذاً ليس في الحادث أية شبهة.

- **هل الفن هو السبب الحقيقي لطلاق والديك؟**

نعم، هو متعصّب، ويريدها أن تكون زوجة له وليس فنانة، وهي لم تستطع أن تعيش بعيداً عن الفن، لهذا وقع الطلاق، مع أنه كان يحبها ونفَّذ لها كل ما طلبته منه، وكنت أشعر حتى أنه يحبني بزيادة عن كل بناته، إذ أن والدي بعدما طلّق والدتي أول مرة تزوج من السيدة هند تقي الدين ورزق منها بنتاً اسمها "ليا" ثم بعد طلاقه للمرة الثانية لوالدتي تزوّج من السيدة ليندا جنبلاط ورزق منها بخمس بنات، وعندي أيضاً أخوان: يحيى وزين، وما زلت مع أخواتي البنات نتواصل فكل سبت يتناولن طعام الغداء عندي ونحب بعضنا بشكل كبير.

- **هل صحيح أن الأمير حسن الأطرش كان مسجوناً في السبعينات؟**

نعم والدي كان موجوداً في الأردن وكان الملك حسين قد أعطاه فيلا جميلة جداً ليقيم فيها، وقد زرته هناك عدّة مرات، وفي يوم من الأيام، على أيام الشيشكلي، يهجم على بيته في الأردن خمسة رجال لخطفه فيقاومهم وكان يحمل سلاحاً على اعتبار أنه رجل سياسي، فأطلق النار عليهم وقتل اثنين منهم، وعندما فرغ مسدّسه من الذخيرة خطفه الباقون ووضعوه في سيارة وتوجّهوا به إلى دمشق حيث أودع السجن، وأذكر أن خالي فريد كان موجوداً في لندن وكذلك الملك حسين ،فذهب خالي فريد إلى الملك حسين طالباً جلاء الحقيقة عن عملية الخطف، فأرسل الملك حسين طائرات هليكوبتر لتقتفي آثار السيارة، وفي السجن زرته عدّة مرات وكان

قوياً وشجاعاً، وعندما جاء الرئيس حافظ الأسد إلى الحكم أطلق سراح والدي.

- **هل توفى والدك في بيروت؟**

عندما أصيب والدي بمرض كان يأتي ليتعالج في مستشفى "أوتيل ديو" في بيروت وكان يسكن في تلك الفترة عندي في البيت. كان مريضاً ومتعباً وكان لا يحلو له إلا أن يناديني باسم "أملي" أي اسم جدّتي "أسمهان" فهو لم ينسها حتى آخر يوم في حياته.

- **ماذا ورثت من أمك؟**

– لم أرث شيئاً، ولا حتى أية متعلقات شخصية تذكّرني بها.

- **ماذا ورثت من خصالها، وهل ملامح شخصيتها تشبه شخصيتك؟**

من حيث الطباع لا أشبهها، أنا امرأة هادئة، من قبل كنت أحب الحياة ولكني حالياً هادئة الطباع.

- **ماذا عن جدّتك السيدة علياء، بعدما أصبحت تلميذة في بيروت هل كنت ترينها؟**

– لا كانت موجودة هي في القاهرة وأنا في بيروت، لم أرها إلا مرة واحدة وكانت في الثمانين من عمرها، وكنت أمضي الصيف في "صوفر"

مع زوجي وأولادي فجاءت لزيارتي، ثم بعدها فقدت ذاكرتها مع العمر، ودخلت المستشفى في لبنان حيث توفيت بعد ذلك بعدّة أشهر.

- **هل صوتك حلو مثل والدتك "أسمهان"؟**

صوتي جميل جداً ولكن أبي كان لا يسمح لي أن أغني ولا حتى زوجي، وفي يوم من الأيام وبعد ثلاثين سنة من زواجنا كنت مع زوجي في سهرة وهنا تجمّع حولي الساهرون طالبين مني الغناء، فإذا بزوجي يقول لي غنّي، هنا قلت له: بعد كل هذه السنوات من الزواج وبعد تدخيني لسنين طويلة، الآن تطلب مني أن أغني؟ لا لن أغني.

- **بكم ولد رزقت من زوجك الراحل رياض جنبلاط؟**

رزقت بسهى، فيصل، فادي، وبعد عشر سنوات رزقت زياد الذي يحب الفن وصوته جميل ويعزف بشكل رائع على الغيتار ولكنه يعمل في أحد البنوك في فرنسا.

- **لو لم تكن والدتك تحب الفن هل كان لزواجها من والدك أن يستمر؟**

– لا أعتقد، لأنها تربّت وعاشت في بيئة مختلفة، عاشت في مصر المختلفة عن جبل الدروز، زرت أنا وسهى مؤخراً منطقة السويداء في جبل الدروز، صحيح أنها أصبحت جميلة وبيئتها جميلة جداً ولكن طبيعة الحياة مختلفة عن القاهرة وأجوائها، والتقاليد قاسية في السويداء، حتى طقسها

بارد فهي مرتفعة عن سطح البحر كارتفاع منطقة صوفر في لبنان. صحيح أن والديّ عاشا قصة حب جميلة ولكن لم يُكتب لها الاستمرار.

- **هل الفن هو السبب الحقيقي لطلاق والديك؟**

نعم، هو متعصّب، ويريدها أن تكون زوجة له وليس فنانة، وهي لم تستطع أن تعيش بعيداً عن الفن، لهذا وقع الطلاق، مع أنه كان يحبها ونفَّذ لها كل ما طلبته منه، وكنت أشعر حتى أنه يحبني بزيادة عن كل بناته، إذ أن والدي بعدما طلّق والدتي أول مرة تزوج من السيدة هند تقي الدين ورزق منها بنتاً اسمها "لميا" ثم بعد طلاقه للمرة الثانية لوالدتي تزوّج من السيدة ليندا جنبلاط ورزق منها بخمس بنات، وعندي أيضاً أخوان: يحيى وزين، وما زلت مع أخواتي البنات نتواصل فكل سبت يتناولن طعام الغداء عندي ونحب بعضنا بشكل كبير.

- **هل صحيح أن الأمير حسن الأطرش كان مسجوناً في السبعينات؟**

نعم والدي كان موجوداً في الأردن وكان الملك حسين قد أعطاه فيللا جميلة جداً ليقيم فيها، وحتى أنا زرته هناك عدّة مرات، وفي يوم من الأيام، على أيام الشيشكلي، يهجم على بيته في الأردن خمسة رجال لخطفه فيقاومهم وكان يحمل سلاحاً على اعتبار أنه رجل سياسي، فأطلق النار عليهم وقتل اثنين منهم، وعندما فرغ مسدّسه من الذخيرة خطفه الباقون ووضعوه في سيارة وتوجّهوا به إلى دمشق حيث أودع السجن، وأذكر أن خالي فريد كان موجوداً في لندن وكذلك الملك حسين فذهب

خالي فريد إلى الملك حسين طالباً جلاء الحقيقة عن عملية الخطف، فأرسل الملك حسين طائرات هليكوبتر لتقتفي آثار السيارة، وفي السجن زرته عدّة مرات وكان قوياً وشجاعاً، وعندما جاء الرئيس حافظ الأسد إلى الحكم أطلق سراح والدي.عندما أصيب والدي بمرض كان يأتي ليتعالج في مستشفى "أوتيل ديو" في بيروت وكان يسكن في تلك الفترة عندي في البيت... كان مريضاً ومتعباً وكان لا يحلو له إلا أن يناديني باسم "أملي" أي اسم جدّتي "أسمهان" فهو لم ينسها حتى آخر يوم في حياته..

.... نص الحوار في مجلة الموعد اللبنانية ، أجرته :مي سربيه شهاب"، في ثلاث حلقات أعداد ٢٣٦٠ – ٢٣٦١– ٢٣٦٢ نوفمبر –اكتوبر ٢٠٠٨

# ملحق الصور



في الاستوديو استعدادا للتصوير




**فريد الأطرش الأخ والصديق**



**مع فريد**



**أسمهان وصديقتها إلهام حسين**




**أسمهان وفريد على غلاف مجلة الراديو المصري**



أسمهان في جبل الدروز



أسمهان الطفلة



لحظة انتظار



اسمهان مع أسرتها وهي طفلة (من اليسار )



اسمهان وأنور وجدي



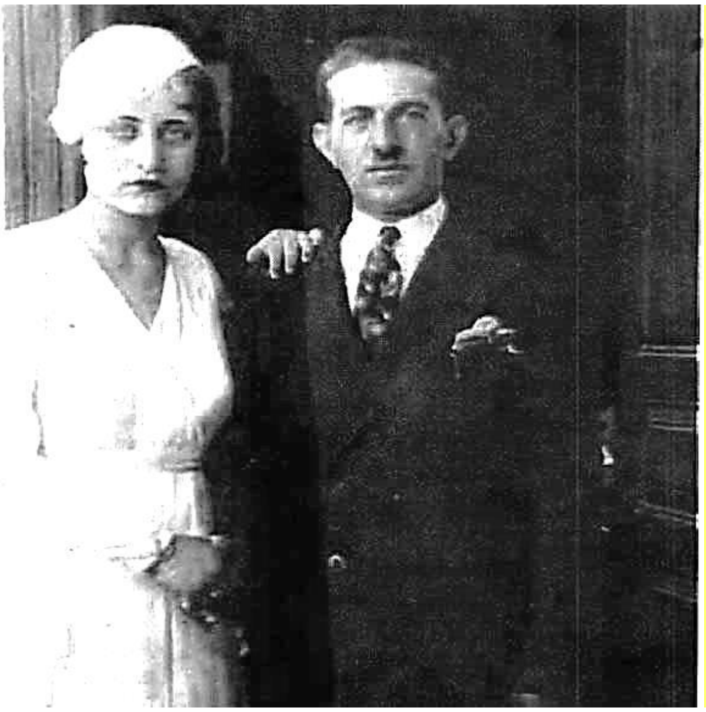
الفاتنة



الجمال الغامض



اسمهان الغامضة



اسمهان وزوجها السابق الأمير الحسن



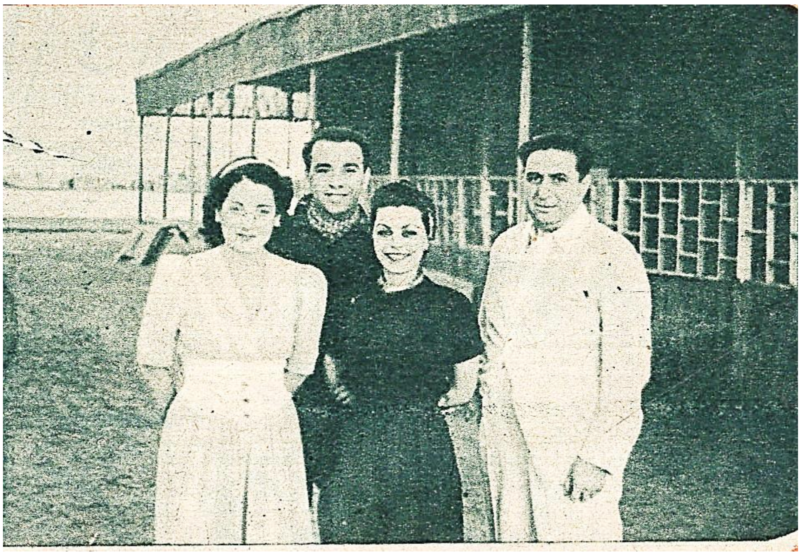
**على شاطئ البحر**



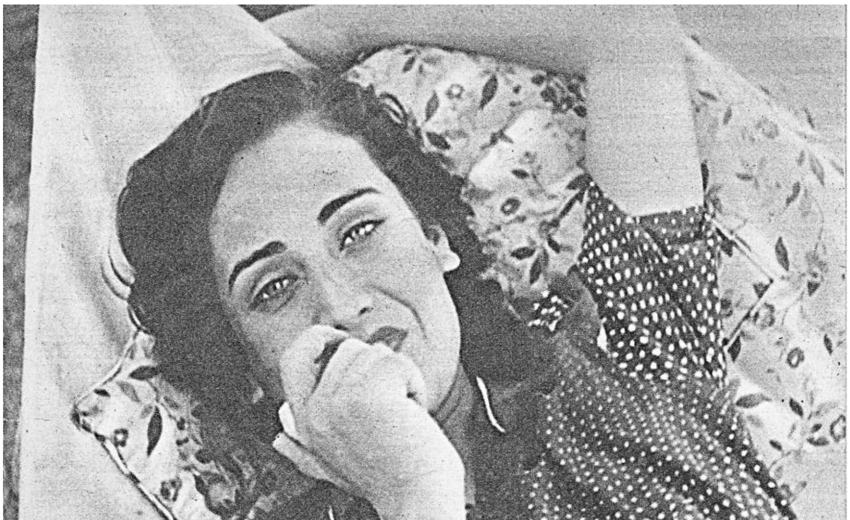
في رأس البر .. الأستاذ أحمد سالم ، وإلى يمينه أمينة البارودي التى كانت زوجته يومئذ في ١٩٤٠ ، وإلى يساره اسمهان التي أصبحت زوجته في ١٩٤٤



اسمهان والسيدة أمينة البارودي



في رأس البر صيف ١٩٤٠ .. الأستاذ سليمان بك نجيب وأمينة هانم البارودي وزوجها يومئذ الاستاذ أحمد سالم والمرحومة اسمهان



هل هي تبكي أم تبتسم ؟.. أم هي ابتسامة ممزوجة بالدموع



اسمهان تمارس رياضة ركوب الخيل أثناء اقامتها في فندق ميناهاوس في شتاء ١٩٤٠



**نظرة ساحرة**



**غجرية أيضا**



**مشهد من فيلم "غرام وانتقام"**



كبرياء الأميرة



اسمهان في مطلع صباها



مشهد من فيلم "غرام وانتقام"



في عزاء اسمهان .. يوسف وهبي والشاعر ابراهيم ناجي



في ثياب غجرية



**في أول عهدها بالغناء**



**في إحدى السهرات مع التابعي**



في إحدى السهرات مع التابعي وسراج منير



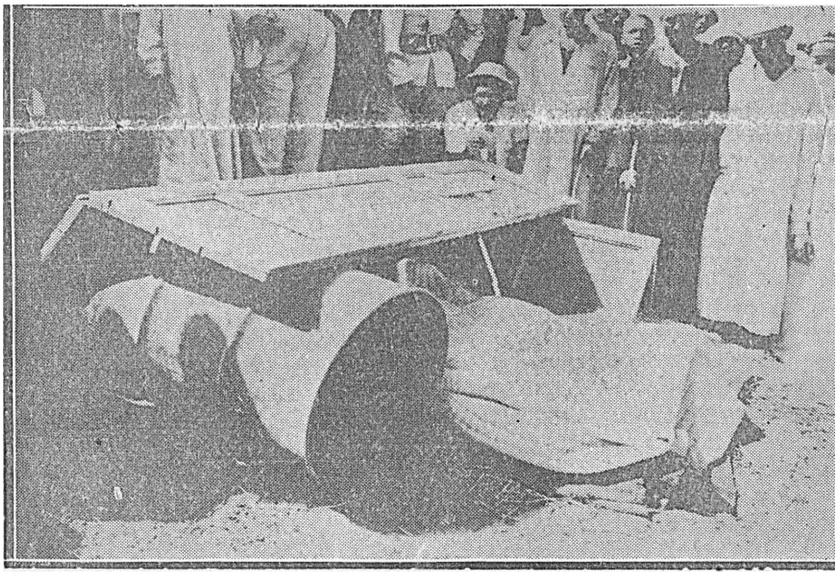
أنوثة ونضج الشباب



أمام السيارة التى أودت بحياتها



سيارة أسمهان بعد انتشالها



جثة أسمهان مغطاه



**الجمال المتألق**



الجمال الغامض




**افيش فيلم "غرام وانتقام"**



اسمهان وفريد الأطرش



اسمهان ومُحَمَّد التابعي



النهاية المفجعة للفنانة أسمهان

سقوط سيارتها في ترعة عند طلخا .. وفاتها ووصيفتها غرقا ونجاة السائق

المصري

يصدرها ويدير سياستها الوفد المصري

السبت ٢٤ رجب سنة ١٣٦٣

١٥ يوليو سنة ١٩٤٤

٨ ابيب سنة ١٦٦٠

العدد ٢٦٥٦ ( السنة الثامنة )

العدد ١٠ مليمات

**جريدة المصري ١٥ يوليو ١٩٤٤**

٤ ـ « المصرى » ١٩٤٤/٧/١٥

# النهاية المفجعة للفنانة أسمهان

بقية المنشور على الصفحة الاولى

## كيف وقع الحادث

وقد تلقينا من مراسلينا فى المنصورة ونبروه تفاصيل حادث سقوط السيارة فى الترعة وما ترتب عليه ننشرها فيما يلى :

المنصورة فى ١٤ ـ لمراسلنا : وقع قبل ظهر اليوم فى دائرة مركز طلخا حادث مؤلم ذهبت ضحيته الفنانة المعروفة اسمهان ووصيفتها وتفصيلات هـذا الحادث الذى اهتزت من اجله الاسلاك التليفونية بين طلخا والقاهرة والاسكندرية ورأس البر هو أن السيدة اسمهان استقلت من دارها فى القاهرة سيارتها الخصوصية ونمرتها (٧٦٥٤) ومعها وصيفتها مارى وسائق السيارة فضل محمد نصر فى طريقها الى مصيف راس البر وكانت قد اعتزمت السفر اليه صباح يوم الحادث الذى وقع فى دارها من احمد سالم افندى

ويظهر أن السـائق كان يقـود السيارة بسرعة غير عادية فلم يتنبه الى « مطب » كبير عند بلدة « ميرتقاش » من اعمـال مركز طلخـا فاصطدمت السيارة بهذا « المطب » صدمة عنيفة رفعت السيارة من فوق الارض وقذفت بها الى الترعة المعروفة باسم (الساحل) وقد هوت السـيارة فى الترعة وكان السائق قد تمكن من الخروج من مكانه فنجا واستغاث وأسرع على صـوت استغاثته كثيرون من الاهالى والمزارعين عملوا على انقاذ السيدتين وقد أخرجوهما جثتين هامدتين ووضعت جثتاهمـا على شاطىء الترعة فى انتظار حضور رجال البوليس والنيابة

ولما ابلغ الخبر الى مركز طلخا انتقل الى مكان الحـادث حضرة محمود على الشامى مامور المركز ومعـه قوة من رجال البوليس بعد أن ابلغ الخبر الى مديرية الغربية وقد لحق به الى هناك صاحب العزة صادق يونس بك مساعد حكمدار الغربية

### عطف الفلاحين

ومما يستحق الذكر مع الاعجاب والتقدير انه لما عمل الاهالى والفلاحون على اخراج الجثتين اسرع بعضهم فى احضار لوحين كبيرين من الخشب وعملوا منهما مظلة وضعت تحتها الجثتان فوق لحاف جاء به احد الفلاحين كما جاء بوسادة

### اعتقال السائق

وقد قبض على السائق فضل واودع مركز طلخا وابلغ الخبر الى النيابة وقد اشتغل السائق مدة طويلة فى شركة مصر للتمثيل والسينما وقد كان

الجثتين للمعاينة

وحضر الى مكان الحادث الاسـتاذ حسن ابو سمرة وكيل النيابة للتحقيق وقد وصل الى هنا الاستاذان فريد الاطرش وحسن مراد مندوب شركة مصر للتمثيل والسينما

### نقل الجثتين

واجـرى الدكتور حسـين شرمى مفتش صحة مركز طلخا الكشف الطبى على الجثتـين وثبت ان الوفاة نتيجـة ( اسفكسيا ) الغرق وقد صرح بنقل الجثتين الى القاهرة للدفن ولهذا جيء بسيارة اسـعاف من مديرية الدقهلية لنقل الجثتين الى القاهرة

وقد توجه الاستاذ فريد الاطرش وحسن مراد الى مركز طلخا حيث قابل حضرات الاستاذ حسن ابو سمرة وكيل نيابة طلخا والدكتور حسـين شرمى مفتش الصحة والبكباشى محمود على الشامى مامور المركز لتسلم جثة الفنانة اسمهان

### من هى الوصيفة ؟

اما وصيفة اسمهان فهى الانسـة مارى قلادة وهى قبطيـة وتربطهـا باسمهان روابط صداقة متينة وكانت مخلصة لها كل الاخلاص لا تفارقها فى روحاتها وغدواتهـا ، وقد ابلغ خبر وفاتها الى اهلها واهتم اخوها باستلام الجثة بناء على طلب المحافظة، وكانت هـذه الفتـاة معروفة بدماثة الاخلاق والوداعة وقد عرض عليهـا

عند عودته الى المنزل

ولم يكن الخـادم يعلم اين يوجد الاسـتاذ فريد ولكنه كان يعلم ان السيدة والدة المطربين تتناول الغـداء بمنزل المطربة نجاة على مع الاسـتاذ مدحت عاصم فطلبها بالتليفون وابلغها الخبر ولكنها لم تفهم منه جيـدا بل فهمت ان هناك حادثا وقع لابنتهـا فخرجت مسرعة وذهبت الى بيت ابنها مع الاستاذ عاصم

وكان الاسـتاذ فريد الاطـرش موجودا بمحل جروبى وعند ما عاد الى منزله قابله الخادم بالباب وقال : « سليم بك زكى عمل تليفون ويقول ان اختك ماتت ! » فذهل المطرب وذهل الذين كانوا معه ولم يدركوا الحقيقة ويعرفوا مبلغ خطورة الحادث الا بعد الاتصال بالاميرالاى سليم زكى بك الذى اكد لهم الخبر فوقع عليهم وعلى الاخ خصوصا وقع الصاعقة

### دموع الام

وفى اثناء هذا عادت الام الى البيت وهى تبكى فقابلها ابنها والاصـدقاء الذين خفوا الى داره وجعلوا يواسونها قائلين انهم ينتظرون تفاصيل عن الحادث وان ليس هناك ما يدل على ان اسمهان اصيبت باكثر من رضوض ، وظلت الام المسكينة على هذه الحالة بين الشك واليقين الى ان اطلعوهـا على حقيقـة ما حدث رويدا رويدا

الامير حسن الاطرش واسرتهـا فى جبل الدروز

### تبقى فى مصر

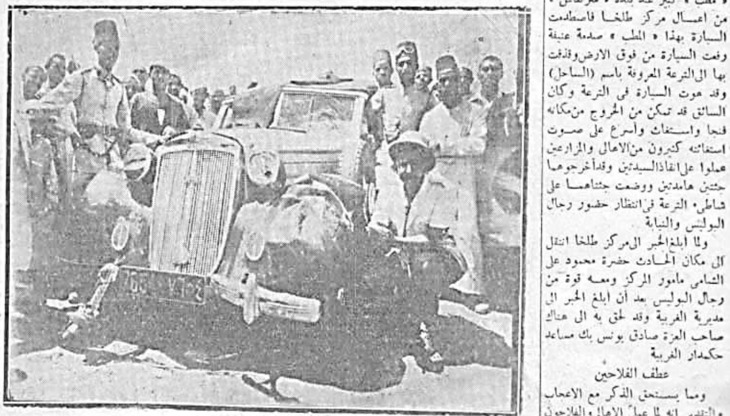
كانت لاسمهان امنية عزيزة ، وهى البقاء فى مصر والاقامة فيها ، وكانت تقول : « لقد احتضنتنى مصر طفلة ويعز على ان احـرم وانا امرأة من البقاء فيها ! »

ويعلم القراء انه بالنظر الى ظروف خاصة رات الجهات المختصة ان تحرم اسمهان من الاقامة فى مصر ، وانها لم تحصل على تصريح بالمجىء اليهـا اخيرا الا بعد زواجها من احمد سالم افندى وبشرط ان تبقى فيهـا المدة اللازمة لاخراج فيلم «غرام وانتقام ».

غير ان الاقدار شـاءت ان تجيب اسـمهان الى ما كانت تريد ، وان توفر لها اسباب البقاء فى هذا البلد الامين المضياف ، فاليوم ستضم تربة مصر جثمان اسمهان ، فتتحقق بذلك تلك الامنية العزيزة التى كانت المطربة تمنى النفس بها ، فسبحان من بيده الامر والنهى ! !

### نعى أسرة الفقيدة

بقلوب داميـة ينعى فؤاد وفريد الاطـرش شقيقتهما امال وستشيع الجنازة فى الساعة ١١ صباحا من منزلهما فى شارع العـادل ابو بكر نمرة ٥ بالزمالك حيث تقام ليلة المأتم



السيارة عند انتشالها من الترعة وقد ظهرت فيها آثار التحطيم

وقد طلب مدير الامن العـام من الاستاذ فريد الاطرش ان يسافر الى طلخا لكى يستلم جثـة شقيقته هناك فسافر ومعه الاستاذ حسن مراد من موظفى سـتوديو مصر وذلك حوالى السـاعة الثالثة بعد الظهر

### حراسة بيت اسمهان

وعندما بلغ الاستاذ فريد الاطرش ...

### ستوديو مصر ينعى

ينعى ستوديو مصر بمزيد الاسف الى العـالم العربى النجمة السينمائية اللامعـة المطربة الموهوبة ( اسمهان ) اختطفتهـا يد المنون على اثر حادث سيـارة فى الوقت الذى كانت ترتقى فيه قمة مجدها السينمائى والغنائى ...

**جريدة المصري ١٥ يوليو ١٩٤٤**



# النهاية المفجعة للفنانة أسمهان

## سقوط سيارتها فى ترعة عند طلخا .. وفاتها ووصيفتها غرقا ونجاة السائق

شاءت الاقدار الا أن تتوالى المآسى، واحدة بعد أخرى ، فى حياة الفنانة اسمهان ، فما كانت تخرج من مأساة حتى تستقبل مأساة ، وكانت الاخيرة منها هذا الحادث الذى وقع بينها وبين احمد سالم افندى والذى يذكر القراء تفاصيله ، ولكن اسمهان مانجت مما كان مقدرا لها فى هذا الحادث الا لتلقاه فى حادث آخر وقع لها امس ، وهى فى طريقها الى رأس البر . فقد سقطت سيارتها فى ترعة بالقرب من طلخا، وماتت الفنانة غرقا مع وصيفتها، ونجا سائق السيارة

والى القارىء تفاصيل ماحدث :

### هدوء بعد العاصفة

كان الهدوء قد عاد شيئا فشيئا الى نفس اسمهان بعد حادث اطلاق الرصاص المعروف وخصوصا بعد أن [illegible] أن حالة احمد سالم افندى سائرة فى طريق التحسن وأن البكباشى محمد ابراهيم امام قد خرج من المستشفى . ولكنها كانت تشعر بتعب من جراء الصدمة وتسعى الى اخذ بعض الراحة بعيدة عن العاصمة . وقد عادت الى [illegible]

الذين عملوا معها فى هذا اليوم الاخير من ايام عملها ، فقالوا لنا انهم لم يروها من قبل أكثر بهجة وسرورا منها يومئذ ، فقد كانت تلاطف الجميع وتخص كلا منهم بكلمة أو ابتسامة ، كان صوتها يهيب بها بانها لن ترى مرة أخرى اولئك الرفاق الذين شاركوها فى فنها واخلصوا لها الود اخلاصها لهم

### يقولون عليك !

ومما قاله لنا الاستاذ انور وجدى وهو الذى يمثل معها دور الزوج فى فيلم « غرام وانتقام » انه « يموت » بها الاستاذ مدحت عاصم قائلا :

« لا لا ! لاتسافرى غدا فالسفر يوم الجمعة نحس ! أجلى السفر الى يوم السبت ... »

وقال الاستاذ يوسف وهبى :

« لا لا . رأس البر ايه ؟ تعالى الى اسكندرية وانزلى فى ضيافتى ثلاثة أيام وسنعود معا فى يوم الاثنين لاستئناف العمل ! »

وانضم اليهما زملاء الطربة جميعهم فكان منهم من يحبذ تأجيل السفر الى يوم السبت ، وكان منهم من يعارض فى السفر الى رأس البر وينصح بالسفر أصدقائها ، ـ وقد طلبوا منها هم الآخرون تأجيل السفر الى يوم السبت ـ نامت نوما هادئا واستيقظت فى ساعة مبكرة من صباح أمس ، وركبت سيارتها الخاصة ومعها وصيفتها الآنسة مارى قلاده ، فجلست السيدتان فى المقعدين الخلفيين ووضعتا بعض الامتعة بجوار السائق ، وانطلقت السيارة بالثلاثة فى الساعة الثامنة والنصف صباحا ، وكانت اسمهان ترتدى ثوبا خفيفا « سبورت » وقد القت على كتفيها معطفا صيفيا وأخذت معها كتابا فرنسيا للمطالعة

**جريدة المصري صباح اليوم التالي للحادث**

# الدرس الذى تعلمته

# من نهاية أسمهان ..

فريد الاطرش

كانت حياة أسمهان شقيقتى الراحلة درسا مفيدا ، ولم تكن نهايتها إلا بمثابة ( الكلمآكس ) ( أى النهاية العظمى ) لهذا الدرس ، لقد كانت لاصدقائها فلما وافاها الاجل المحتوم لم أر أى صديق من هؤلاء السادة يهتم بكلمة عزاء اللهم الا القليل

لقد كنت أنصحها كثيرا أن تخفف من غلواء الثقة فى الاصدقاء ، ولكنها كانت تقول إنها كالزهرة التى اذا تركت على غصنها فانها ستذبل واذا قطفت فانها أيضا ستذبل ، ولكن الفرق انها سوف تضيف جمالا على المكان الذى ستزينه .

كانت فى آرائها فلسفة لا يقرها واقع هذه الايام . ومع ذلك ماتت وعاشت فلسفتها .. عاشت كدرس لمن يريد أن يتعظ .

ليلى مراد .

إنى لا أكاد أغمض عينى الاو تتراءى لى تلك الصورة المؤلمة ، وتنشط أحاسيسي نشاطا عجيبا .. وألفاني أحن الى الغناء الباكي ، بل كثيراً ما غنيت وبكيت وأنا أذكر تلك الصورة .

صورتها وقد توسدت الغبراء وفرش فوقها غطاء لم تكن ترضى ان تقدمه الى فقير كغطاء .

وتتراقص أمام عينى وفى مخيلتي عبارة واحدة هي ( ان الفن لهيب .. يحرق من يقترب منه .. ولكنه يحترق نشوانا ) فأحتار في تفهم معنى تلك العبارة ولكن ينشط العقل ويأتي التفسير فاذا به الاخلاص حلو مر شأن كل جميل فى الحياة .

زوزو حمدى الحكيم

الدرس الذى أخذته عن المأسوف عليها اسمهان أن النهاية مهما كانت محزنة يجب أن لا تؤثر فى الفنان من جهة اخلاصه في عمله .





فردوس محمد

قالت فى لهجة تمثيلية :

— بقى اسمع يا عزيزى أنا ماأعرفش أكلم فى المواضيع الحزاينى دى . وحرام عليك تسبب لى الألم من غير ما أعمل فيك حاجة ، درس إيه يا خويا

ومع ذلك فقد قالت الدرس :

وهو ان أعرف الصديق قبل الطريق

محمد عبد الوهاب

لقد كانت نصيحتي للمرحومة اسمهان دائما كلما التقيت بها أن تقتصد فى دمها واشباع نهمها من الحياة وكانت اجابتها الدائمة أن « العمر قصير مهما طال »

وبعد أن غابت عنا بين ليلة وضحاها آمنت بأن العمر حقاً قصير والواجب أن تستمتع به ولكن — ولكن هذه للاحتراس — فى تحفظ .

أم كلثوم

لقد استفدت درسا من نهايتها وهو التي تعمل للفن وتخلص له لا بد أن تقدر فى يوم من الايام ومهما قيل فى افتقار اسمهان من ناحية تقدير الاصدقاء فقد قدرها المليك وليس بعد تقديره تقدير

**في رثاء اسمهان**

**بقية قصة أسمهان :**

# تزوجنا وقررنا أن نهرب إلى أمريكا!

وغادرت الحفلة وانا احس انى غريب وحيد فى كل فلسطين واستولى على هذا الشعور ، وامتلأ قلبى فجأة بالحنين الى الوطن وقلت لنفسى : لتكن هذه اخر ليلة لى فى فلسطين

وسرت استعرض حوادث الليلة ، بدايتها الصاخبة ، واحداثها العنيفة ، واخيراختامها ...

وارتميت فى فراشى وانا اقول : ليلة غير موفقة ..

واغمضت عينى وانا اكمل الهمس لنفسى : يا له من ختام ... لزيارة غير موفقة لفلسطين

واستيقظت فى الصباح على صوت التليفون يدق فى غرفتى ... عنيفا متواصلا ونظرت فى ... وانا امد يدى لتناول سماعة التليفون وكانت الساعة الثامنة صباحا .. وانساب الى صوت اسمهان .

وقلت لها وانا اطرد النوم من ... : هكذا فى الصباح الباكر ..

... انتهت الحفلة ؟

... منذ عدة دقائق !

واستطردت اسمهان : لعلك ... تضايق من لهجتى امس ؟

وقالت : لقد كان على انا ان ... لك فلا اظن انى ظهرت بالمظهر اللائق فى حفلة كلها امراء !

... وعلى اى حال فقد حسمت ... وقررت أن انسحب من الميدان ...

وردت اسمهان : لقد كنت ... انك ستخطىء فى فهم الموقف

... ثم بدأت تشرح لى وجهة ... نظرها .. قالت ان تصرفها ... كان درءا لخطر شديد يهدد حياتى وقالت وهى تضحك :

ــ لقد اهنت اميرا تعود ان يهين ولا يهان .. وكان الطبيعى ان يقتلك ولم يكن هناك مفر من ان اشغله .. وكان هذا ايضا هو ما دفعنى الى عدم التشبث ببقائك لما طلبت الانصراف ..

وسكتت اسمهان ..

ثم انساب الى صوتها رقيقا فيه رنة عتاب :

ــ هل اقتنعت الآن ؟ ...

واحسست ان شيئا ما فى اعماقى قد اقتنع .. وكان هذا الشىء الغامض المجهول فى اعماقى يلح على ــ انا ايضا ــ ان اقتنع واقتنعت ..

واحست اسمهان بغريزتها المرهفة انها كسبت المعركة .. وانتهى الحديث وهى تذكرنى بموعدنا الليلة على العشاء فى كاباريه « الريجانس » فى فندق الملك داوود ضيفين على شوقى بك السعد وحرمه ..

**... ويالها من احداث**

وفى الساعة السابعة مساء كنت اخترق بهو الفندق فى طريقى الى الكاباريه حين لمحت اسمهان جالسة مع عدد من اصدقائها اللبنانيين ... وكان عددهم ــ رجالا وسيدات ــ يقرب من عشرة ...

واتجهت ناحية اسمهان ... وهمت للاقاتى وسألتها عن السهرة فقالت :

ــ اسبقنى الى هناك وانتظرنى وسألحق بك ..

ثم اردفت : انهم ايضا ينتظرونك هناك

ورددت عليها بطريقة شبه آلية : « طيب يا روحى »

قلتها وانا لا أعنى من ورائها شيئا ، ولكنها كلمة دارجة على لسانى ، وما خطر ببالى لحظة ان هذه الكلمة الصغيرة ستكون مفتاحا لما تلاها من احداث ..

ويالها من احداث !

**تسلية لذيذة**

ولم تلبث اسمهان ان لحقت بنا فى « الريجانس » وقالت للحاضرين ــ قبل ان تجلس ــ انها تريد ان تستشهد بهم فى مشكلة خطيرة سببها لها « الاستاذ » واشارت الى

ودهشت ونظرت اليها مستطلعا

وجلست أسمهان وهى تكمل باقى القصة

قالت انى وجهت اليها الخطاب امام عشرة من مواطنيها بكلمة « يا روحى » .. وقالت انى سببت لها بهذه الكلمة احراجا امامهم ولم تجد ما ترد به على نظراتهم المتسائلة الا ان تقول انى خطيبها !

وضحكت اسمهان وقالت : والآن اما ان تصحح مركزى على هذا الوضع واما ان ترسل لى شهودك للمبارزة صباح الغد !

وقلت لها وانا اسايرها فى لهجتها المرحة : لو كنت اتقن المبارزة لاخترتها ولكنى مضطر الى قبول الحل الاول !

ورفع اصدقاؤنا كؤوسهم يشربون نخب « خطبتنا » !!

ولم يخطر فى بال احد منا ــ أنا أو هى او أصدقائنا ــ ان الامر جد وحقيقى وانما نظرنا اليه جميعا على انه تسلية لتمضية السهرة ... تسلية لذيذة

واستمرت « التسلية » طول السهرة ، وكانت تجلس معنا ملكة جمال الاسكندرية فى ذلك الوقت وقمت لارقص معها ولم تنس قبل آن تنهض معى ان تستأذن من « خطيبتى » لتسمح لها بذلك !

**اضواء الفجر**

وانتهت السهرة فى هذا الجو المرح ، ولكن اسمهان اقترحت أن نركب السيارات الى « البحر الميت » وقالت وهى تضحك فى جذل : ان الناس لا يتركون ضوء القمر وينامون ..

وعدنا من رحلة « البحر الميت » قرب الصباح

واوصلتها الى جناحها الملكى فى الفندق ..

ووجدتنى ادخل وراءها الصالون بحركة آلية واتجهنا ناحية « النافذة » التى كنا نقف الى جوارها دائما فى الليالى السابقة

وسرحت ابصارنا على القدس الجميلة وقد لفتها غلالة فاتنة من اضواء الفجر ...

وساد بيننا الصمت ، ولكننى احسست اننا نتخاطب بلغة مجهولة .. لغة ليس فيها كلمات ولا حروف ولا أصوات وانما فيها مشاعر واحاسيس وعواطف مبهمة غامضة

وقطعت اسمهان الصمت .. تنهدت من اعماقها وقالت وفى صوتها أسى حالم : ... لماذا يطلع الصبح .. ان ضوء النهار دائما يبدد أحلام الليل ويطاردها

وسكتت لحظة ثم استطردت تقول فى حماسة : لماذا لا تكون الحياة كلها احلاما .. ولماذا يصدمنا الواقع ... ليلتنا حلما .. فلماذا لم تكن حقيقة ...

وسكتت مرة ثانية وعادت ــ وكان صوتها جميلا كندى الصباح ــ تقول :

ــ لو كان هذا هو الواقع .. وكنا نعيش فيه ؟

وتشابكت أيدينا فى حركة لا ارادية .. وتابعت كلامها :

ــ ولم لا ... ويطلع علينا الصباح ونحن متزوجان ونهاجر الى بلد حر كامريكا ونشارك أهلها فى سعادتهم ... اننا ــ كلينا ــ شركاء فى التعاسة .. فلماذا لا نبدأ معا عهدا جديدا ...

ولست أذكر ماذا قلت لها .. ولا أظننى رددت عليها بالالفاظ ... ولكن حالة تشبه « التنويم المغناطيسى » سيطرت علينا ودفعت كلينا الى صاحبه واشتركنا فى قبلة أذكر أننا تعاهدنا بعدها على الزواج ...

وعدت الى غرفتى

**لم يكن حلما !**

واستيقظت قرب الظهر وكنت أفكر وأنا أرتدى ملابسى فى الليلة الماضية وقابلتها وأنا أظن أن ضوء الشمس ــ والفرق بينه وبين أضواء الفجر كبير ــ ربما غير من أحلام الصبح !

ولكنى وجدت « أسمهان » ما زالت على عزمها فقد سألتنى ــ وكانت هذه من عاداتها المعروفة ــ قائلة :

ــ رد بسرعة من غير ماتفكر

وضحكت وقلت : من غير ما أفكر

واستأنفت سؤالها : كان حلم ... والا ماكانش !

وقلت لها وأنا لاازال اضحك

مجلة اخر ساعة ١٩٤٥




دعوة لسماع اسمهان




**غلاف مجلة الاثنين والدنيا**




**غلاف مجلة النجوم**




**مجلة الراديو المصري ١٩-١٢-١٩٤٤**



**اسمهان بين شقيقيها فريد وفؤاد**



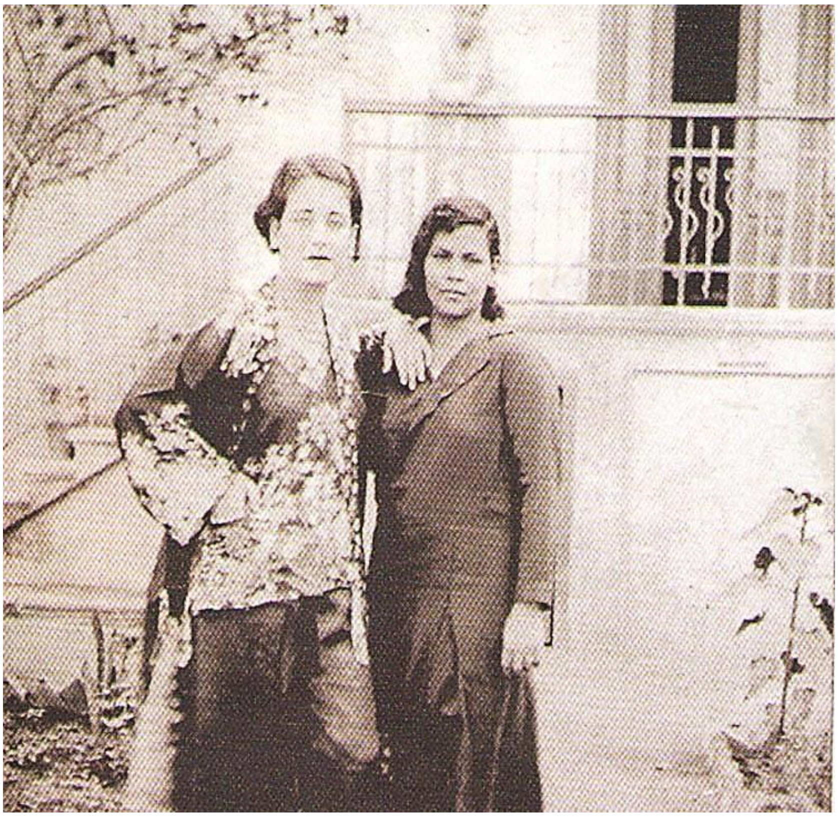
اسمهان في إحدى السهرات عام ١٩٤٠ ومُحَّد التابعي يقدم لها سيجارة



أسمهان مع الصحفي مُحَّد التابعي وشقيقه حسين



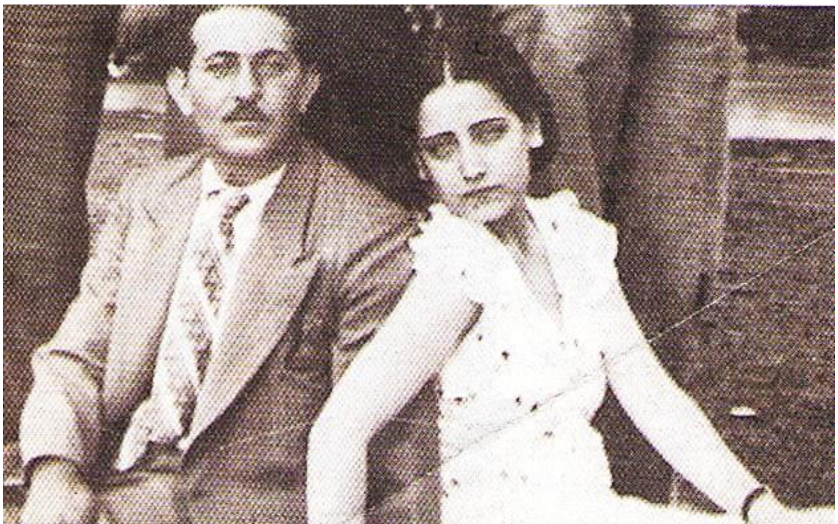

**أسمهان مع زوجها الأمير حسن الأطرش**



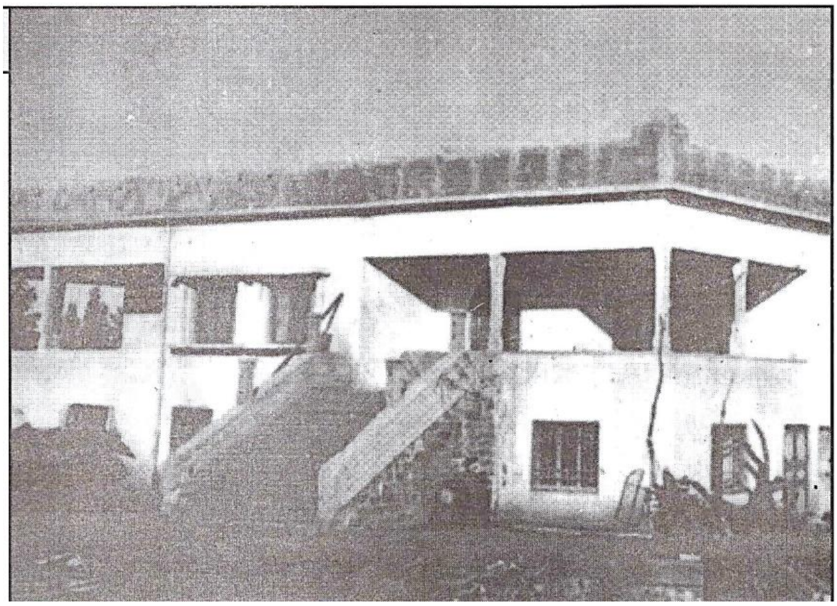
أسمهان مع والدتها علياء المنذر



أسمهان وصديقتها أمينة البارودي



الامير حسن الاطرش وأسمهان في بداية زواجهما



جانب من القصر الذي أقامت فية أسمهان في السويداء



صورة نادرة تجمع بين أسمهان ووالدتها السيدة علياء المنذر



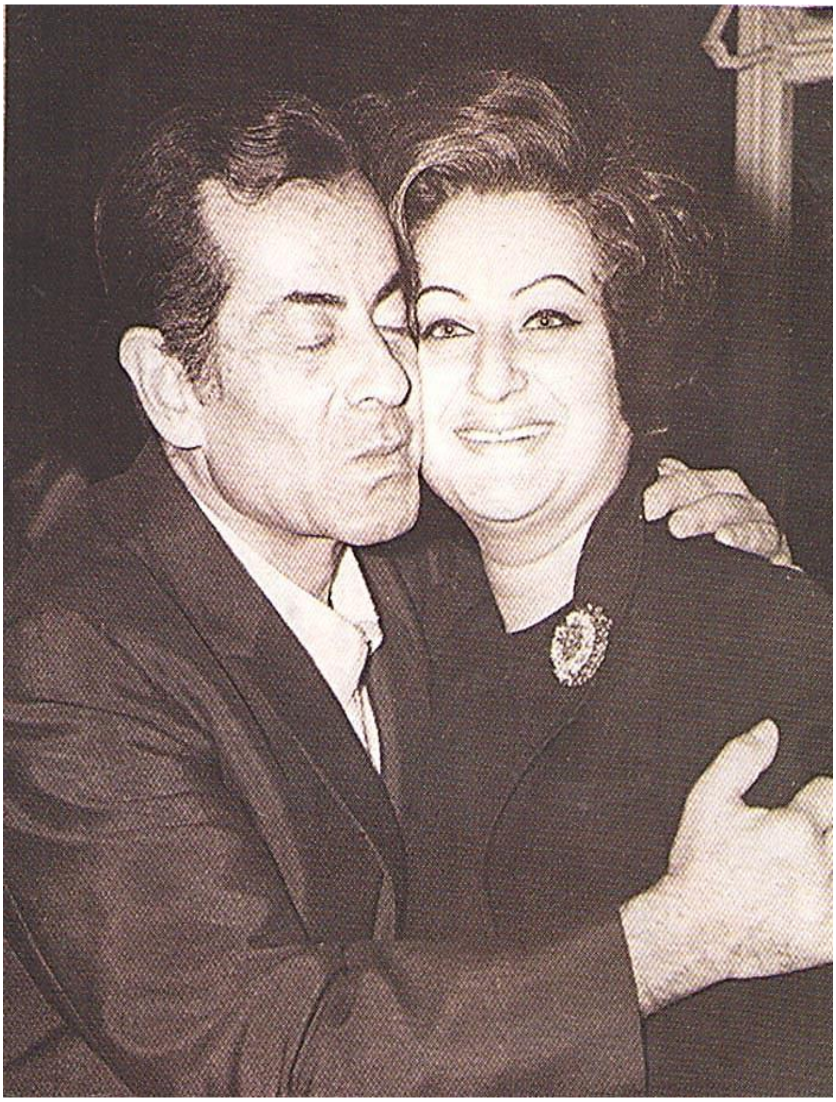
صورة نادرة لأسمهان بين زوجها الأمير حسن الأطرش وشقيقها فؤاد وهما يحملان المسدسات



**فريد يحضن كاميليا ابنة شقيقته أسمهان وشقيقه فؤاد الأطرش**



فؤاد بالطربوس فريد بالزي إلى جانب اسمهان مع والدهم



**كاميليا ابنه اسمهان مع خالها فريد**



**كاميليا أمام صورة والديها الأمير حسن الاطرش وأسمهان**



ووجدت آمال الأطرش نفسها أمام دور سياسي يرضي طموحها



صورة لم تنشر من قبل

# أهم المراجع


- جريدة الأهرام – ع ١٦ /٤/ ١٩٩٠

- جريدة الأهرام – ع ١٩٥٠/٧/٢٤

- مصطفى أمين –كانت تتمنى رجلاً، أخبار اليوم ع ١٩٨٧/١١/٢١

- أسمهان كمان وكمان، علا السعدني، يوليو ١٩٩١ مجلة نصف الدنيا

- شريفة زهور –الايقونه، وجهات نظر، ع١٠٢ يوليو ٢٠٠٧

- أسمهان تعود إلى زوجها الأمير حسن الأطرش – مجلة أخر ساعة – ع ٣٥٥ / ٢ يوليو ١٩٤٢

- جريدة الأخبار– ع ١٩٨٨/٧/١٣

- عمرو الخياط – أسمهان أسطورة أم أكذوبة – أخبار النجوم –ع٢٥ / بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٩٧

- محمود معروف – أسمهان– الجمهورية – ٢٠١٢/٨/٢٤

- حسين عثمان – أسمهان عندما صدق المنجمون – مجلة الكواكب ١٩٧٤/٨/٢٣

- سمير صبري، الباشا وأسمهان – أخبار اليوم ٢٠١٢/١/٢١

- أحمد سالم –النبؤة تتحقق وتموت أسمهان – أخر ساعة ١٩٤٩/٥/٢٣

- حوار مع كامليا ( ابنة اسمهان ) – مجلة الموعد اللبنانية ، أجرته : مي سربيه شهاب"، في ثلاث حلقات أعداد ٢٣٦٠ – ٢٣٦١– ٢٣٦٢ نوفمبر – اكتوبر ٢٠٠٨

- غرام أسمهان – فؤاد القصاص –دار الهنا – بولاق مصر– بدون تاريخ

- محمود فوزي – اغتيال النساء .. السياسة تقتل المرأة في مصر – دار الاحمدي للنشر ١٩٩٩،
- د. رتيبة الحفني – فريد الأطرش وأسمهان – الهيئة العامة المصرية للكتاب – ٢٠١٣
- محمود صلاح – أسمهان الليلة الأخيرة – المؤسسة العربية الحديثة – القاهرة ٢٠٠٤

# الفهرس